جامعة الانبار

كلية التربية للعلوم الإنسانية

القسم العلمي: التاريخ

المرحلة الدراسية: الثالثة

المادة: تاريخ الخلافة العباسية

عصر النفوذ التركي (عصر الفوضى العسكرية) 247 – 334هـ

The Age of Turkish Influence (The Age of Military Anarchy) 247 - 334 AH

عصر النفوذ التركي (عصر الفوضى العسكرية) – (334/247 هـ) / (861-945 م)

ينقسم هذا العصر الى اربعة فترات متداخلة هي :
أ- فترة الفوضى العسكرية 247 – 256 هـ / 861 – 869 م.
ب- فترة انتعاش الخلافة 256 – 295 هـ / 869 – 907 م .
ج- فترة المقتدر 295 – 320 هـ / 907 – 932 م .
د- فترة امرة الامراء 324 – 334 هـ / 932 – 945 م .

أ- فترة الفوضى العسكرية :

بدأت هذه الفترة بتولي المنتصر للخلافة في سنة 247هـ / 861 م بعد مقتل والده المتوكل على الله وتنتهي بتولي المعتمد على الله الخلافة سنة 256 هـ / 869 م .

وقد بدأ في هذه الفترة تدخل القادة الاتراك السافر في امور الدولة وفي تنصيب وعزل الخلفاء وسمل عيونهم وقتلهم وقد وصف الفخري هذه الحالة فقال : " ان الاتراك قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة، واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في ايديهم كالأسير ، ان شاءوا ابقوه، وان شاءوا خلعوه وان شاءوا قتلوه ".

وقد تولى الخلافة المنتصر ابو جعفر محمد بن جعفر المتوكل في نفس الليلة التي قتل فيها ابوه 3 شوال، وعند الصباح " حضر الناس الجعفرية، من القواد والكتاب والوجوه والشاكرية والجند وغيرهم، فقرأ عليهم احمد بن الخصيب(احد وزراء المتوكل) كتاباً يخبر فيه عن المنتصر ان الفتح بن خاقان (وزير المتوكل ونديمة)، قتل المتوكل فقتله به " . وهذا العمل اتهام للفتح بقتل المتوكل، وهو غير صحيح، لان الفتح قتل وهو يدافع عن سيده المتوكل.

وقد خاف القادة الاتراك من ابناء المتوكل الآخرين، وهم المعتز والمؤيد، وخصوصاً **وصيف وبغا**، فاجبرا المنتصر على خلع اخويه من ولاية العهد، وقد عبر عن هذا الخوف احمد بن الخصيب اذ قال **لوصيف وبغا** : " انا لا نأمن الحدثان، وان يموت امير المؤمنين، فيلي المعتز الخلافة فيبيد خضراءنا، ولا يبقى لنا باقية، والان الرأي ان نعمل في خلع المعتز والمؤيد " . فجد الاتراك في ذلك،

" والحوا على المنتصر وقالوا نخلعهما من الخلافة ونبايع لابنك عبد الوهاب ، فلم يزالوا به حتى اجابهم ، واحضر المعتز والمؤيد بعد اربعين يوماً من خلافته، وجعلا في دار، فقال المعتز للمؤيد : يا اخي : قد احضرنا للخلع ، فقال : " لا اظنه يفعل ذلك ".

فوافق المؤيد وابى المعتز ، فقال المؤيد للمعتز : " يا جاهل تراهم نالوا من ابيك وهو، هو ما نالوا، ثم تمتنع عليهم ؟ اخلع ويلك لا تراجعهم! فقال : وكيف اخلع وقد جرى في الآفاق؟ فقال : هذا الامر قتل اباك وهو يقتلك ، وان كان في سابق على الله ان تلي لتلين فقال : افعل " وقد كتب المؤيد والمعتز خطهما بذلك ، وجاء فيه : " ان امير المؤمنين المتوكل على الله ، قلدني هذا الامير، وانا صغير من غير ارادتي ومحبتي، فلما فهمت امري، علمت اني لا اقوم بما قلدني، ولا اصلح لخلافة المسلمين، فمن كانت بيعتي في عنقه فهو من نقضها في حل وقد حللتكم منها وابرأتكم من ايمانكم ".

كما لعبت الخلافات بين القادة الاتراك، وغيرهم من دورها في تأزيم الوضع الداخلي، فقد كانت بين **احمد بن الخصيب** و**وصيف** (احد زعماء القادة الاتراك) شحناء وتباغض، فحرض احمد بن الخصيب الخليفة المنتصر على **وصيف**، فارسل اليه المنتصر، وقال له : " قد اتانا عن طاغية الروم انه اقبل يريد الثغر، وهذا امر لا يمكن الامساك عنه، ولست آمنة ان يهلك كل ما مر به ، من بلاد الاسلام يقتل ويسبي، فأما شخصت انت، واما شخصت انا ، فقال : بل اشخص انا يا امير المؤمنين، فقال لأحمد بن الخصيب: انظر الى ما يحتاج اليه **وصيف** فاتمه له ، وكتب المنتصر الى محمد بن عبد الله بن طاهر ببغداد يعلمه ذلك، ويأمره ان ينتدب الناس للغزاة ويرغبهم فيها، وامر **وصيفاً** ان يوفي ثغر ملطية ... وامره بالمقام بالثغر اربع سنين يغزو في اوقات الغزو منها الى ان يأتيه رأيه ".

كما احسن المنتصر الى اهل الحرمين، واطلق اوقاف العلويين، وعزل صالح بن علي عن المدينة، واستعمل عليها علي بن الحسين بن اسماعيل بن العباس ابن محمد، وقبل ان يعنيه ارسل اليه وقال له : " يا علي ! اني اوجهك الى لحمي ودمي، ومد ساعده وقال : الى هذا اوجه بك ، فانظر كيف تكون للقوم، وكيف تعاملهم، يعني آل ابي طالب، فقال : ارجو ان امتثل أمر امير المؤمنين ان شاء الله تعالى ، فقال : اذاً تسعد عندي ".

لكن العمر لم يطل بالمنتصر طويلاً اذ توفي في ظروف غامضة بعد ستة اشهر من خلافته، وتختلف الاقوال فيها، فمن قائل انه فصد بمبضع مسموم فمات على اثره، ومن قائل ان الذبحة اخذته في حلقه، واستمرت لمدة ثلاثة ايام، ويبدو ان للقادة الاتراك دوراً في موته، ولو انه لا توجد اية اشارة الى ذلك .

وعند وفاة المنتصر حدثت سابقة لم تحدث فيما سبق في تاريخ الخلافة العباسية، اذ اجتمع القادة الترك وهم **بغا الكبير، وبغا الصغير وأتامش** وغيرهم "فاستحلفوا قوّاد الاتراك والمغاربة والاشروسنية على ان يرضوا بمن رضي به **بغا الكبير ، وبغا الصغير وأتامش**، وذلك بتدبير احمد بن الخصيب، فحلفوا وتشاوروا، وكرهوا ان يتولى الخلافة احد من ولد المتوكل لئلا يغتالهم واجمعوا على احمد بن محمد بن المعتصم، وقالوا : لا تخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم " .

وهذا الاختيار يبين لنا بوضوح مدى تدخل الاتراك بشكل مباشر في اختيار الخليفة العباسي. وقد حدثت بعض الاضطرابات بسبب البيعة اذ " انكر بعض القواد البيعة " واستمرت النزاعات بين الاتراك والابناء لمدة ثلاثة ايام انتهت بتغلب الاتراك .

وعند مجيء المستعين 248 – 252 هـ ، لم تهدأ الامور، بل على العكس ازدادت تنافس الاتراك فيما بينهم، فاستأثروا بالأموال، اذ اطلق المستعين يد **اتامش وشاهك الخادم** في بيوت الاموال، وشاركتهم في النفوذ ام الخليفة المستعين، وكانت معظم الاموال تنتقل الى هؤلاء، ثم تمكن **اتامش** – الوزير –

من الاستئثار بالأمر، فاخذ **وصيف وبغا** يتآمران مع الجند ضده، ونجحت خطتها اذ ثار الاتراك والفراغنة ضد **اتامش** بحجة استئثاره بالأرزاق، فقتلوه في ربيع الآخر سنة 249 هـ / 863 م ، وقتلوا **كاتبه شجاعاً** ونهبت دورهما .

فلما قتل **اتامش** استوزر المستعين **ابا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد** واجرى تغييرات ادارية فعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج، وولاه عيسى بن فرخانشاه، وولى وصيفاً على الاحواز، وبغا على فلسطين، لكن الخليفة اصبح لا حول له ولا قوة في تعيين او عزل وزرائه، فعندما غضب بغا الصغير على الوزير صالح، هرب الى بغداد، فاستوزر المستعين محمد بن الفضل الجرا جرائي .

لكن قتل اتامش لم يحل المشكلة اذ تنفذ باغر بالأمور دون وصيف وبغا، فادرك باغر ان الامور تجري في غير صالحه فَــ " جمع اليه الجماعة الذين كانوا بايعوه على قتل المتوكل او بعضاً مع غيرهم " وبعد ان تأكد من ولائهم له قال لهم : " الزموا الدار حتى نقتل المستعين وبغا ووصيف ونبايع علي بن المعتصم او ابن الواثق، ويكون الامر لنا كما هو لهذين، فأجابوه الى ذلك ".

وانتهى الخبر الى المستعين، فبعث الى بغا ووصيف، وقال لهما : " انتما جعلتماني خليفة ثم تريدان قتلي ؟ فحلفا ما علما بذلك ، فاعلمهما الخبر ، فاتفق رايهم على اخذ باغر ورجلين من الاتراك معه وحبسهم، فاحضروا باغر فاقبل في عدة ، فعدل به الى حمام وحبس فيه، وبلغ الخبر الاتراك فوثنوا على اصطبل الخليفة فانتهبوه، وركبوا ما فيه، وحصروا الجوسق بالسلاح، فامر بغا ووصيف بقتل باغر فقتل " .

نتيجة لما حدث هاج اصحاب باغر ، فاضطربت سامراء، فاضطر الخليفة الى التوجه الى بغداد، فرافقه وصيف وبغا و " جلة العمال والكتاب وبني هاشم وكذلك الاتراك الذين في جانب وصيف وبغا ". واصبح الخليفة المستعين لا امر له ، الامر لوصيف وبغا.

وعندما ذهب الخليفة الى بغداد شعر الاتراك بحراجة الوضع في سامراء اذ لا يوجد سند شرعي لهم، لهذا ارسلوا اليه وفداً يسترضونه، فعفا عنهم، لكنه ابى ان يعود الى سامراء، فخلعه الاتراك، ونصبوا ابن عمه المعتز بالخلافة ، بعد ان اخرجوه من السجن هو وأخاه المؤيد.

فاصبح المعتز في سامراء والمستعين في بغداد، وحدثت الحرب بين الطرفين، واسند المستعين قيادة جيشه الى محمد بن عبد الله بن طاهر، لغرض الدفاع عن مدينة بغداد ضد الاتراك، اما المعتز فقد اسند امر قيادة جيشه الى اخيه ابي احمد بن المتوكل، وتم تحصين مدينة بغداد، وتقوية سورها وحفر الخندق، ووضعت الحاميات العسكرية على الاسوار والابواب كما اعدت المجانيق، وعمل المستعين على اعاقة تقدم الجيش التركي صوب بغداد، فكسرت سداد الفرات ودجلة، وامر بقطع الموارد الغذائية عن سامراء من جهتي بغداد والموصل، كما امر عمال الخراج بحمل الخراج الى بغداد بدلاً من سامراء، وتم تجنيد عدد من سكان بغداد، وخاصة من العيارين برئاسة عرفائهم، فضلاً عن استخدام الحجاج الخراسانيين الذين كانوا موجودين في بغداد.

وعندما توالت جيوش المعتز صوب بغداد، ازدادت الحالة الاقتصادية سوءاً بسبب هجرة اصحاب القرى الى بغداد، وانعدمت المواد الغذائية، يضاف الى لك انعدام الموارد، ويبدو ان بعضاً من قادة المستعين قد الحوا في طلب الصلح، بعد ان مالوا الى جانب الخليفة المعتز، وقد ابدى اهل بغداد مقدرة وشجاعة فائقتين في الدفاع عن بغداد، وكان النصر لهم في اول الامر، الا ان طول فترة الحصار الاقتصادي على بغداد ، وانعدام الطعام زاد في المشكلة، فالح بعض القادة في طلب الصلح، ورفع الحصار عن بغداد.

وقد طلب محمد بن عبد الله بن طاهر من الخليفة المستعين التنازل عن الخلافة فرفض، فقال له : "

لابد لك من خلعها طائعاً او مكرهاً، فقبل المستعين شروط الصلح" . على ان يغادر العراق الى مكة المكرمة، ويقطع بعض الاقطاعات، وينتقل الى واسط يقيم بها الى ان يحين وقت الحج، وقد اخبر محمد بن عبد الله الناس ببقاء الخليفة المستعين في منصبه على ان يكون المعتز ولي عهده، وعندما علموا بحقيقة الامر، هجموا على دار محمد بن عبد الله، واحاطوا بها، ولم يهدأوا ، الا عندما خرج اليهم المستعين وطلب منهم الانصراف.

وعندما جاء الخليفة المعتز بالله – ابو عبد الله محمد بن المتوكل – 252- 255 هـ / 866 – 868 م ، اصطدم هو الآخر مع الاتراك بسبب عدم استطاعته دفع ارزاق الجند، حتى حاصروا في داره، فأرسل الى امة (قبيحة)يطلب منها مالاً فأرسلت اليه : " ما عندي شيء " وحاول المعتز تقريب فرق الجيش الاخرى مثل المغاربة والفرغانة الذين كانوا يكرهون الاتراك لاستئثارهم بالسلطة ، لكن مشكلة توفير المال دفعت كل فرق الجيش للوقوف بوجه الخليفة، فدخل عليه صالح بن وصيف، ومحمد بن بغا " فجروه برجله الى باب الحجرة، وضربوه بالدبابيس، وخرقوا قميصه واقاموه في الشمس في الدار، فكان يرفع رجلاً ويضع اخرى لشدة الحر، وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده، وادخلوه حجرة واحضروا **ابن ابي الشوارب** وجماعة اشهدوهم على خلعة ... وان للمعتز وامه وولده واخته الامان ". ولكن الاتراك سجنوه وعذبوه حتى مات.

ثم ارسل الاتراك بمبايعة المهتدي بالله ، وهو ابو عبد الله محمد بن الواثق 255 – 256 هـ / 868 – 869 م . وكان في بغداد، وقد نفاه اليها المعتز ولم يقبل المهتدي ان يتولى الخلافة، الا بعد ان تنازل عناه المعتز، فاقر المعتز بخلع نفسه، وبعجزه عن القيام بمهام الخلافة والرغبة في تسليمها الى محمد بن الواثق .

لكن الامر لم يستتب للمهتدي، اذ شعر القادة الاتراك بانه خليفة قوي، فأرادوا خلعه فـــ " اجتمعوا بدار موسى بن بغا ، داخل الجوسق، واتفقوا على خلع المهتدي، فقال لهم **بابكيال (احد ابرز القادة الاتراك)** : انكم قتلتم ابن المتوكل، وهو حسن الوجه سخي الكف، فاضل النفس، وتريدون قتل هذا، وهو مسلم يصوم ولا يشرب النبيذ، من غير ذنب ! والله لئن قتلتم هذا لألحقن بخراسان لأشيع امركم هناك ".

وعندما علم المهتدي بما عزم عليه القادة الاتراك من خلعه " تحول من مجلسه متقلداً سيفاً، وقد لبس ثياباً نظافاً، ثم امر بإدخالهم عليه، فدخلوا فقال لهم : بلغني ما انتم عليه، ولست كمن تقدمني، مثل المستعين والمعتز، والله ما خرجت اليكم الا وانا متحنط ، وقد اوصيت الى اخي بولدي، وهذا سيفي، والله لاضربن به ما استمسك قائمة بيدي، والله لئن سقط مني شعرة ليهلكن وليذهبن اكثركم كم هذا الخلاف على الخلفاء والاقدام والجرأة على الله .... " .

وقد وقف بجانب الخليفة المهتدي العامة ورجال الدين، وقد ارسلوا اليه رسالة ذكروا فيها : " انهم سامعون مطيعون ، وانهم بلغهم ان **موسى وبابكيال** وجماعة معهما يريدونه على الخلع، وانهم يبذلون دماءهم دون ذلك " . وشكوا اليه سوء اوضاعهم، وتأخر ارزاقهم، فارسل اليهم المهتدي كتاباً جاء فيه " قد فهمت كتابكم وسرني ما ذكرتم من طاعتكم، فاحسن الله جزاءكم ... " .

كما اتبع الخليفة المهتدي براعة وحزماً ودهاءً في محاربة الترك، فحاول تقسيم صنوف الجيش وضرب بعضهم بعض، وابتنى قبه للمظالم لها اربعة ابواب، كان يجلس فيها العام والخاص، كما وامر بالمعروف ونهى عن المنكر وحرم الشراب، واخرج المغنيين والمغنيات من سامراء ونفاهم الى بغداد، وابطل الملاهي، وقرب العلماء ورفع مكانتهم، كما امر بترك اللعب بالديكة وقتل السباع المحبوسة .

واخيراً فكر المهتدي بضرب القادة الترك بعضهم بالآخر، لكن الاتراك فطنوا الى هذا التدبير عليهم، فكتب المهتدي كتاباً الى بابكيال يأمره فيه بقتل موسى بن بغا، ففطن للأمر، وجاء الى موسى ، فقرأ عليه الكتاب المهتدي : ارى ان تسير الى سامراء، وتخبره انك في طاعته ونصرته عليّ وعلى مفلح، فهو يطمئن اليك، ثم تدبر في قتله.

فعاد القادة الاتراك الى سامراء ومنهم بابكيال وموسى وعندما دخلوا سامراء شعر المهتدي بانهم يتآمرون عليه، فجمع حوله المغاربة والاتراك وقبض على بابكيال وامر بقتله، فكانت هذه الشرارة التي انهت حياة الخليفة المهتدي، اذ هاج الاتراك، لمقتل بابكيال، ولم يستطيع المهتدي تجميع قواه ومؤيديه، على الرغم من استنجاده بالعامة ، وخرج يقاتل الاتراك ، ويقول : انا امير المؤمنين، قاتلوا عن خليفتكم، لكن جهود العامة لم تكن منظمة، فادت الى انتصار القادة الترك، ومقتل الخليفة المهتدي بالله.

غير ان جهود الخليفة المهتدي كانت بمثابة بداية تقلص نفوذ القادة الاتراك وعودتهم الى الانصياع للخلافة العباسية

المحاضرة الثانية

فترة انتعاش الخلافة : 256 – 295 هـ / 869 – 907 م

The period of recovery of the caliphate: 256-295 AH / 869--907 CE

تولى الخلافة في هذه الفترة ثلاثة خلفاء هم المعتمد على الله 256- 279 هـ / 869- 892 م والمعتضد بالله 279 – 289 هـ / 892 – 901 م . والمكتفي بالله 289 – 295 هـ / 901 – 907 .

وقد استعادت مؤسسة الخلافة هيبتها ومكانتها خلال هذه الفترة، فقد خرج الخلفاء انفسهم، وباشروا الامور، ففي خلافة المعتمد اصبح الموفق، اخوه المعتمد كالشريكين في الخلافة ، فالمعتمد الخليفة واخيه الموفق هو القائد الاعلى للجيوش الاسلامية في الدولة العباسية، وقاد حملات عسكرية من اجل ضبط امور الدولة، فقد اشتبك مع يعقوب بن الليث الصفار. وانتصر عليه في موقعة دير العاقول سنة 262 هـ / 875 م، كما تولى قيادة الجيش العباسي لمواجهة حركة الزنج.

وعندما جاء المعتضد بالله ابن الموفق كان قد تدرب على قيادة الجيوش والحملات، وخبر المعارك والحروب، اذ دربه ابوه على ذلك اثناء القضاء على حركة الزنج، وكان المعتضد بالله يحارب الخارجين بنفسه، وقاد اكثر من حملة في هذا المجال، فقد توجه لحرب بني شيبان، ثم عقد الصلح معهم، ومن ثم توجه الى ماردين وسيطر عليها.

ولما توفي المعتضد بالله وتولى المكتفي بالله الخلافة، لم يكن له حزم ابيه في قيادة الجيوش، وتوجيه الحملات العسكرية الا انه تقرب الى الناس " بهدم المطامير التي كان ابوه اتخذها لأهل الجرائم ".

وسنعرض اهم الاحداث التي وقعت في تلك الفترة :

حركة الزنج :

كان الزنج يستقدمون من الصومال وزنجبار، ويستخدمون في الزراعة بأعداد كبيرة جداً، نتيجة للنشاط التجاري وازدهار التجارة، في غسل واستصلاح الاراضي، لجعلها صالحة للزراعة، وكذلك للاستفادة من الاملاح المتجمعة على سطح الارض، وكانت اجورهم تصرف على شكل مواد غذائية كالطحين والتمر والسويق، او تدفع لهم بشكل نقدي.

وفي شوال من سنة 255 هـ / 868 م خرج رجل يعرف بـ بهبوذ من قرية ورزنين وهي من قرى الري مدعياً النسب العلوي وتسمى بـ علي بن محمد .

كان يتردد هو وابوه الى سامراء، اذ كانوا من بين اتباع حاشية المنتصر، ثم ترك سامراء، وتوجه سنة 249 هـ / 863 م صوب البحرين، ودعا الناس الى طاعته، وجبى خراجهم، ونفذ حكمه فيهم، وحاربوا اصحاب السلطان بسببه، ثم عاقب جماعة من اعيانهم، فغضبوا عليه، وجرت مناوشات فيما بينهم، فتوجه صوب الاحساء، ثم هزم في احدى المعارك، فتخلى عنه اهل الاحساء، فاتجه الى البصرة، فعلم به عامل البصرة، محمد بن رجاء الحضاري، فحبسه هو واهله، لكنه استطاع الهرب، واتجه الى يريد بغداد، وفي الطريق قبض عليه عامل البطيحة، عمير بن عمار، لكنه تخلص منه، وسار يريد بغداد، وادعى انه من ابناء محمد بن احمد بن عيسى، وفي سنة 255 هـ / 868 م عزل محمد بن رجاء عن ولاية البصرة، فهجم رؤساء قبائل البلالية والسعدية على السجون، فاخرجوا اهلها، وكان من بينهم عائلة بهبوذ.

ثم رجع بهبوذ الى ولاية البصرة، وادعى انه مرسل من ابناء الواثق بالله لغرض بيع السباخ، وامر الناس ان يسلموا عليه بالأمرة، كما دعا العبيد الزنوج الى الدخول في طاعته بعد ان تعرف على احوالهم، فسأل عن اخبار غلمان الشورجيين او السورجيين، وما يجري لكل غلام منهم من الدقيق والسويق والتمر، ودعا العبيد في خطبة الى ضرورة تحسين وضعهم ، وانه يهدف الى ان يرفع اقدارهم ويملكهم العبيد والاموال والمنازل ويبلغ بهم اعلى الرتب.

ولهذا نستنتج انه لم يهدف الى القضاء على الرق، فقد حرر العبيد لكنه استرق من وقع في يده من الاسرى، كما اخذ يدعو بقية العبيد للالتحاق بحركته ويحدثنا ابن الاثير عن هذا فيقول : " وما زال يدعو غلمان اهل البصرة ويقبلون اليه للخلاص من الرق والتعب، فاجتمع عنده منهم خلق كثير، فخطبهم ووعدهم ان يقودهم ويملكهم الاموال، وحلف لهم بالأيمان ان لا يغدر بهم ولا يخذلهم ". وقد توسط موالي العبيد لديه بان يرجع اليهم عبيدهم لقاء خمسة دنانير لكل عبد، لكنه رفض ذلك.

وكان اغلب الزنج من غير العرب، ومن الذين لا يفهمون العربية ولا يملكون اية ثقافة، وكان صاحب الزنج بحاجة الى سند شرعي لدعم حركته، فادعى ان العناية الالهية ارسلته لكي يخلص العبيد من وضعهم، وادعى النبوة، ومعرفة الغيب، وعلى الرغم من ادعائه النسب العلوي، الا انه دعا الى فكرة الخوارج، ويرى ان يكون الخليفة من افضل المؤمنين، ولو كان عبداً حبشياً، وكان يكتب على لوائه " ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم بان لهم الجنة " . وهذا شعار الخوارج الازارقة، كما كتب على علمه اسمه واسم ابيه فقط

عمل بهبوذ على قطع الطريق الرابط بين البصرة وبغداد، والتف حوله عدد كبير من العبيد، وبرغم محاولات السلطة لإيقافه عند حدّه، الا انها فشلت، وكان العبيد يتركون أسيادهم ويهربون ليلتحقوا له، وتمكن من السيطرة على المنطقة الواقعة بين بغداد والبصرة، وعمل على بناء ثلاثة مدن حصنها بحصون منيعة، وانتشرت حركته مدة تقارب (14 عاماً)، اسهمت اسباب عدّة في بقائها كل هذه المدة، هي:

1- كانت الأرض التي أعلنت فيها الحركة زراعية تكثر فيها القنوات المائية والأشجار، لاسيما النخيل منها، الذي كان يعيق الخيالة في مهاجمتهم.

2- كان الجيش العباسي مدرباً على القتال في المناطق المفتوحة والحركات السريعة، على عكس

المنطقة التي فيها صاحب الزنج والتي لم تكن تسهل الحركة بالنسبة للخيالة فيها.
3- عمل صاحب الزنج على إرسال جواسيسه الذين كانوا يطلعونه على تحركات الخصم أول بأول.
4- بناءه لمدن ثلاث أهمها: (المختارة) واختارها عاصمة له، ثم شحنها بالمؤونة والذخيرة، استعداداً لحالات الطوارئ والحصار، وبنى مدينتي (المنيعة، والمنصورة).
حدثت هذه الحركة سنة 255هـ/868م، وأربكت الوضع في العراق، كما أن طول المدة التي شغلتها الحركة له الأثر الكبير في التأثير على النفوس، إلا أن الخلافة العباسية أخذت على عاتقها القضاء على هذه الحركة، ولكن مع تأخر الوقت، لاستفحال هذه الحركة، الا ان هناك عوامل عدّة اسهمت في القضاء عليها، وهي:

(اسباب فشل حركة الزنج)

1- أُسْنِدَتْ قيادة الجيش العباسي إلى الموفق، الذي أخذ على عاتقه القضاء على الحركة نهائياً.
2- اتبع القائد الجديد أبو العباس (الموفق) سياسة ناجحة مع الزنوج الاسرى، فقد كان يكرمهم ويطعمهم ويخيرهم بين البقاء والذهاب، سيما وان مدن الزنوج بعد أن حوصروا أصبحوا يعانون من قحط شديد إلى الدرجة التي اضرت بهم كثيرا، وكان هؤلاء الأسرى ينقلون طريقة التعامل الحسنة إلى درجة التي جعلت فيها الزنوج يتكاسلون عن مواجهة العباسيين، وصاروا ينتهزون الفرصة للوقوع بالأسر.
3- أشراف الموفق بنفسه على الحصار المشدّد، وضربه على ايدي تجار السلاح والمؤونة الذين يقدمون المساعدة لصاحب الزنج.
4- استخدامه السفن الصغيرة التي تساعد على الملاحة في الأحراش والممرات النهرية.
5- بناءه مدينة بالقرب من عاصمة صاحب الزنج سماها: (الموفقية)، وشحن إليها البضائع المختلفة وأسواقها أصبحت عامرة، الأمر الذي أسهم في استقرار الناس الذي كانوا يشعرون بالخطر المتمثل بالمجاعة.
6- الحصار المشدد على صاحب الزنج أسهم إسهاماً مباشراً في القضاء على صاحب الزنج.
7- الحصول على أعداد كبيرة من المتطوعة لقتال صاحب الزنج والتخلص منه، واشتراك التجار بالمساعدات المادية والتمويل للتعجيل بالقضاء عليه.
هذه العوامل مجتمعة ساعدت في القضاء على حركة لزنج سنة 270هـ/883م، بعد ان قتل صاحب لزنج بإحدى المعارك

المحاضرة الثالثة

عصر الخليفة المقتدر بالله وعصر امرة الامراء

The era of the Caliph Al-Muqtadir Billah and the era of the Emirs 'ruler

عصر الخليفة المقتدر بالله (295-320هـ/907-932م)

تولى المقتدر الخلافة وله من العمر (13) عاماً، وبعد توليه بعام واحد خُلع من الخلافة، إلا أن أنصاره نجحوا بإعادته مرة أخرى، بعد أن بويع لابن المعتز، وكان ذلك سنة (296هـ/908م)، وخلع مرة أخرى سنة (317هـ/929م)، وذلك لخلافه مع القائد التركي مؤنس الخادم، وبويع لأخيه القاهر بالله، إلا أن المقتدر أعيد إلى كرسي الخلافة بعد يومين فقط من خلعه، ولعل أهم الملاحظات والمشاكل التي يمكن تثبيتها على حكمه هي:

1- كثرة شغب الجند وتكراره لمرات عدة.

2- تدهور الأوضاع الاقتصادية.

3- كثرة تبدل الوزراء الذين تناوبوا على الوزارة 13 مرة.

4- تدخل (شغب) أم الخليفة المقتدر بالعزل والتولية، وكذلك وصيفاتها، لاسيما: (أم موسى).

5- عدم تعيين الأشخاص من ذوي الكفاءة والخبرة.

عصر امرة الامراء (324-334 هـ/936-945م)

تولى الخلافة في هذا العصر ثلاثة خلفاء، اولهم القاهر بالله ابو منصور محمد بن المعتضد بالله (320-934هـ/932هـ943م)، وتم خلعه بعد سمل عينيه، وهو اول خليفه عباسي يُسمْل؛ لكي لا يكون له امل في العودة الى تسلم مسؤولية الخلافة مرة اخرى.

بويع بالخلافة الى ابي العباس احمد احمد بن المقتدر، ولقب بـ: الراضي بالله 322-329هـ /934-940م، وكان مسجونا ثم اخرجه الاتراك من سجنه، ثم تولى ابراهيم بن المقتدر الخلافة (329-333هـ/940-944م)، ولقب بالمتقي بالله، ثم خلع وسمله توزون في هيت، وبويع بالخلافة بعد خلعه لأبي القاسم عبدالله بن المكتفي بالله (333-334هـ/944-945م)، ولقب بالمستكفي بالله، وبقي خليفة حتى دخول البويهيون بغداد، حيث خلعوه، وبايعوا المطيع بالله ابو الفضل بن المعتز خليفة سنة 334هـ/945م.

تميز عصر امرة الامراء بالاضطرابات وعدم الهدوء والاستقرار، وكان سبب ذلك عدم توفر الاموال لدفع مرتبات الجند، فضلا عم ذلك فان شغب الجند لم يقتصر على مواجهة الخلفاء بل شمل ايضا الوزراء وقادة الجيش، اذ كان رأيهم ان هؤلاء استأثروا بالأموال لوحدهم، وازاء هذا الوضع المتردي وعدم الاتفاق بين الخليفة العباسي وقائد الجيش محمد بن رائق، استحث منصب امير الامراء، ليتولى مهمة السيطرة على البلاد ونشر الهدوء والاستقرار، وتوفير نفقات الدولة والجيش .

كان من ابرز نتائج استحداث هذا المنصب ان الوزير فقد اهميته واصبحت مرتبة امير الامراء اعلى من منصب الوزير ولم يبق له الصلاحيات سوى التشريفية فقط.

اصبح امير الامراء يتولى تعيين العمال والولاة ويعزلهم، وشارك الخليفة في اهم امتيازاته؛ فصار اسمة يذكر في خطبة الجمعة والاعياد، وكان يدخل في امر البيعة وولاية العهد للخليفة العباسي، ولما طلب الخليفة الراضي بالله من الامير بجكم الديلمي ان يعيَن ابنه وليا للعهد رفض ذلك، وتدخل امير الامراء في تعيين وزير الخليفة، فأن

شاء ابقاه وأن شاء عزله.
حاول الخلفاء العباسيون التخلص من سيطرة الاتراك وسطوة وأمير الامراء وقادة الجيش التركي، الا ان محاولاتهم باءت بالفشل، وذهبوا ضحية ذلك .
لقد الحقت هذه الاوضاع المتردية اضرارا بمعنويات الناس وبحالتهم الاقتصادية، سيما بعد كثرة المصادرات التي مارسها امير الامراء جعفربن شيرزاد الذي صادر اموال الناس بكثرة خصوصا اموال التجار والاغنياء، وتفنن في فرض ضرائب اضافية من اجل توفير اموال الجند، مما اضطر التجار الى الرحيل عن بغداد، وكان الناس ينتظرون من ينقذهم ويخلصهم من هذه الاوضاع المزرية ويعيد حالة الامن الاستقرار الى البلاد.

مميزات عصر منصب امير الامراء

1- استمرار الاضطرابات داخل الدولة الإسلامية.
2- أصبح الخليفة لا حول له ولا قوة، إذ تمكن الأتراك من مقدرات الخلافة.
3- تولى المنصب أكثر من 7 اشخاص كانوا قد ضمّنوا المنصب من الخليفة ابرزهم ابن رائق وتوزون واخرهم ابن شيرزاد
4- أصبح العراق ساحة حرب بين المنتفعين واصحاب المصالح الذين لم يتوانون عن فعل أي شيء لتحقيق مصالحهم، فعمّ الهرج والمرج.
5- تجدد شغب الجند خلال هذه المدة والمطالبة بالعطاء والمرتبات.
6- بعد استحداث هذا المنصب فقد منصب الوزارة أهميته، إذ أن صلاحيات الوزير صودرت ليتمتع بها أمير الأمراء.
7- فرض الضرائب الفاحشة على الفلاحين ومضاعفتها، وحدث أن جبيت الضرائب لأكثر من مرة في السنة.
8- تردي الأوضاع الاجتماعية ناهيك عن الاقتصادية التي تدهورت ووصلت إلى أسوأ حال.
9- أصبح أمير الأمراء يتمتع بصلاحية عزل الولاة وتعيينهم وبيع المناصب على اصحاب الثراء الفاحش، ومصادرة أملاك الضعفاء، والاستيلاء عليها من قبل أصحاب النفوذ.
10- بدلاً من ان يقدم استحداث هذا المنصب الحلول الناجعة لحل الأزمة الاقتصادية، فانه زاد الأمور سوءاً، واصبحت الأوضاع يرثى لها، فعمّ الفساد الإداري والمالي، وتفككت كل مؤسسات الدولة.

كان هذا المنصب قد هيأ الأوضاع لدخول البويهيين إلى العراق والسيطرة عليها، لاسيما وانهم قد وضعوا نصب أعينهم السيطرة على العراق وضمه إلى سلطتهم، ليدخل العراق تحت سيطرة البويهيين بعد ان كان تحت السيطرة التركية

المحاضرة الرابعة

ال بويه وظهورهم على المسرح السياسي

The Bueh and their appearances on the political stage

مقدمة: كانت احوال الدولة العباسية مضطربة في عهد الخليفة المقتدر، وضاعت هيبة الثغور على حدود الدولة، وأخذ البيزنطيون يشنون الغارات المتصلة على حدود الدولة العباسية المتاخمة لهم بعد ان ضعف الدفاع عنها، وبعد قتل الخليفة المقتدر بالله سنة 320هـ/932م ،استبد بالامور مؤنس الخادم، الملقب بـ: المظفر امير الجيوش، واجلس الخليفة القاهر320هـ ، وهذا الخليفة هو الاخر قبض علية الوزير ابن مقله وسجنه، وولى الخلافة الراضي سنة 322هـ/ 934م وفي عهده لم يبق للخليفة غير بغداد واعمالها، والحكم في جميعها للامير ابن رائق وليس للخليفة حكم.

اما باقي الاطراف فكانت البصرة بيد محمد بن رائق، وخوزستان (الاهواز) في يد البريدي، وبلاد فارس في يد عماد الدولة علي بن بويه، وكرمان في يد ابن علي محمد بن الياس، والري واصبهان والجبل في يد ركن الدولة الحسن بن بويه، والموصل وديار بكر وربيعة والموصل في يد بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد الاخشيد، وأفريقية (تونس) في يد ابي القاسم القائم بأمر الله ابن المهدي الفاطمي، والاندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الثالث، وجرجان في يد الديلم،والبحرين واليمامه في يد بن طاهر سليمان بن الحسن القرمطي.

وفي هذه الفترة ظهر على المسرح السياسي بنو بويه، وهم الذين سيلعبون دوراً مهما في حياة الدولة العباسية.

اصل البويهيين وموطنهم:

البويهيون اصلهم من الديلم، وبلاد الديلم، هي المنطقة الواقعة بين طبرستان والجبال وجيلان وبحر الخرز، ومن جهة الغرب شيء من اذربيجان وبلاد ايران.

اختلف الباحثون في نسبهم، فمنهم من نسبهم الى احد الملوك الفرس وهو الملك بهرام جور، وهو بهرام بن بن يزد بن جرد،الذي نشأ وتربى بين العرب في الحيرة عاصمة المناذرة في العراق، ومنهم من ارجع نسبهم الى العرب، والمرجح ان البويهيين من الديلم ولا صلة لهم بالعرب وهم ليسوا من ابناء الملوك او من سلالتهم .

اشتهر من بني بويه الاخوة علي وأحمد والحسن، وابوهم بويه بن فناخسرو الملقب بابي شجاع كان صياداً فقيراً على بحر قزوين، واشتغل هؤلاء الاخوة في خدمة **مكان بن كالي** وبعد هزيمته التحقوا بخدمة **مرداويج بن زيار** الذي اسس الامارة الزيارية.

اظهر علي بن بويه كفاءة عالية، وصار يتراس مناصب الدولة حتى ولاه مرداويج بن

زيار ولاية الكرج سنة 318 هـ، ويبدو انه حقق في اهدافهم وصار اهل الولاية يظهرون له الحب والولاء، الامر الذي اثار شكوك مرداويج فشعر بخطره في المستقبل، وبدأت المنافسة بين بني بويه ومرداويج، لكن البويهيين تنفسوا الصعداء بعد قتل مرداويج سنة 323هـ 934م ، واغتنم الأخوة هذه الفرصة ، فأستولى الحسن على اصفهان والري وهمذان وكان احمد بن بويه يريد الحصول على شيراز التي كان يسيطر عليها محمد بن ياقوت وحاصرها ودارت معركة عنيفة على اسوارها عرفت بمعركة القنطرة 322هـ انتصرت فيها قوات البويهيين وانهى بذلك وجود الياقةتين في المنطقة ، ونازع احمد بن بويه علياً بن العباس على ولاية كرمان وأنتصر عليه، واخذ البويهيون بها جميع املاك الخليفة العباسي في العراق، ففي سنة 332هـ/943م هاجم احمد بن بويه مدينة واسط، لكن توزون الذي كان امير الامراء وقت ذاك ضدّ هجومه وتمكن من هزيمة جيشه.

كان الوضع السائد في ذلك الوقت يتلخص بأن نظام امير الامراء كان يزداد كل يوم عجزاً عن ضبط امور العراق، بينما كان امراء بني بويه يزدادون كل يوم ضبطاً وقوة وصيتاً، حتى تطلعت النفوس الى احلال بني بوية محل امراء الامراء.

توفي سنة 333هـ /944م امير الامراء توزون، واصبح شيرزاد اميرا للامراء، وكان معز الدولة (احمد بن بويه) في الاحواز، وفي واسط (ينال كوشة) عليها قبل شيرزاد، وقد راسل ينال كوشة الامير معز الدولة البويهي طالباً منه القدوم الى واسط، ولعل سبب ان امير واسط شعر بقوة البويهيين واتساع نفوذهم، في وقت كانت الخلافة العباسية قد دبّ فيها الضعف والانهيار، وسادت الفوضى بمختلف مدن العراق وخاصة بغداد، فقد انتشرت اللصوص الذي نشر الرعب وتسلطوا على اموال الناس الى حد اضطر التجار الى الهرب من بغداد، وعادت تلك الافعال الى انتشار الخراب وفساد الامور عموماً، والمرجع ان ينال كوشة حاكم واسط كان يشعر بأطماع احمد بن بويه ويعلم انه هاجم العراق عدة مرات بهدف الاستيلاء عليه، لذلك ادرك ان من مصلحته مداراة هذه القوة الجديدة، ضماناً لمستقبله فتقرب من البويهيين وراسلهم واظهر الاخلاص والمعاونة لهم.

والواقع ان نظام امرة الامراء منيّ بفشل ذريع، وأصبح عاجزاً عن حل الازمة المستحكمة وعن استرداد هيبة الخلافة في نظر حكام وأمراء الاطراف التابعة للخلافة العباسية، فتطلعت النفوس الى نظام جديد غير نظام امرة الامراء، وازاء هذه الاحوال المتردية استدعى الخليفة العباسي المقتدر بالله الحمدانيين (وهم اسرة عربية كانت امارتهم في الموصل وحلب) ضد ابا عبدالله البريدي الذي ظهر في البصرة وضد امير الامراء، وفعلا هب الحمدانيون وحاربوا ابا عبدالله البريدي وأنصاره الاتراك، وعلى الرغم من ذلك بقى الوضع العراق مضطربا حتى دخول البويهيين اليه

اهم الحوادث التي ساعدت البويهيين على الظهور بسرعة على المسرح السياسي :

1/ دخولهم شيراز سنة 322 هـ مما عزز موقفهم العسكري في المنطقة

2/ طلب من الخليفة الراضي الاعتراف والتقليد بولايه اقليم فارس مقابل مبلغ من المال مما اضطر الخليفة ان يوافق لعجزة المالي فارسل له التقليد سنة 322 هـ وبذلك اصبح البويهيين حكام شرعيين في المنطقة واصبح ندا لمرادويج بن زيار

3/ خدمت الظروف على بن بويه خصوصا بعد موت مرداويج سنة 323 هـ مما عزز قدرته العسكرية

4/ مد البويهيين نفوذهم خارج اقليم فارس مستغلين الظروف السيئة التي تمر بها الخلافة وانشغال السامنيين في خراسان وصراع القادة الاتراك فوسع علي بن بويه حدوده ليستولي على كرمان والاحواز والري عام 326هـ .

المحاولات البويهييه لاحتلال العراق :

1/ استغل البويهين حالة عدم الاستقرار والصراع بين القادة للحصول على منصب امير الامراء والامتيازات فقرر بني بويه احتلال العراق ففي عام 327 هـ توجه احمد بن بويه لاحتلال واسط غير ان الخليفة الراضي صدهم واعادهم الى الاحواز

2/ في 328هـ قاد الحسن بن بويه حملة لاحتلال واسط لتامين الحماية للحواز من خطر البريدين ، غير ان هجوم وشمكير بن زيار على اصفهان قد جعلهم ينسحبون لاسترجاع اصفهان من يد وشمكير بن زيار

3/ استمرت المحاولات البويهيه لاحتلال العرق بحملات عدة في سنة 331 و 332 و333هـ غير ان قوات الخلافة كانت تصدهم غير انهم استطاعوا من الدخول الى بغداد سنه 334 هـ بعد موت ابن توزون امير الامراء وتولي جعفر بن شيرزاد والذي لم يكن على قدر المسؤولية وخيانة ينال كوشة وتسهيل المهمة لهم لاحتلال بغداد

المحاضرة الخامسة

التسلط البويهي 334 – 447 هـ

دخول البويهيين بغداد

Buyid authoritarianism 334 - 447 AH
The Buyids enter Baghdad

تحرك احمد بن بويه من الاهواز ودخل العراق بعد عدة محاولات فاشلة ، فاضطرب الناس ببغداد، ولما اقترب من بغداد ووصل الى باجسرى (بليدة في شرقي بغداد)، زاد اضطراب الناس واختفى الخليفة العباسي المستكفي بالله واامير الامراء ابن شيرزاد الكاتب، ولما علم الاتراك باختفاء الخليفة واامير الامراء عبروا الى الجانب الغربي وساروا باتجاه الموصل، عندها ظهر الخليفة وعاد الى دار الخلافة ومعه امير الامراء، واجتمع ابو الحسن بن محمد المهلبي صاحب احمد بن بويه بالخليفة المستكفي وابن شيرزاد الكاتب، واظهر الخليفة سروره بقدوم احمد بن بويه، واعلمه انه استتر (اختفى) خوفا من الاتراك، فلما ساروا عن بغداد عاد اليها.

نزل احمد بن بويه بمعسكره في باب الشماسية (احد ابواب بغداد الصليخ حاليا) في الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة 334هـ/946م، ووصل الخليفة المستكفي بالله ووقف بين يديه طويلا، واخذت عليه البيعة للخليفة المستكفي بالله واستحلف له باغلظ الايمان، واقسم الامير البويهي اليمين، ثم خلع عليه الخليفة الخلع ،ولقبه بـ: (معز الدولة)، ولقب اخاه عليا بلقب: (عماد الدولة)، ولقب اخاه الحسن بـ (ركن الدولة)، وامر ان تضرب القابهم وكناهم على الدنانير والدراهم، وهكذا اصبحت بغداد تحت سيطرة البويهيين.

اراد النظام الجديد ان يدعم بقاءه ويقوّي وجوده ؛ لذلك اراد ان يدعم اسسه من خلال اجراءة عدة، ابرزها:

1- القبض على زمام الامور وادعاءه انه يريد اقتلاع اسباب الفتنة والتصدي لطمع الطامعين، وبحجة تحقيق هذا الهدف لم يتردد النظام البويهي من التنكيل بانصار النظام القديم، بل وحتى عزل الخليفة واهانته.

2- بعد مرور ايام معدودات انقلب معز الدولة على الخليفة العباسي المستكفي بالله واهانه اهانة كبيرة، فقد تم سحبه من مكانه واقتيد الى دار معز الدولة واعتقل فيها، ونهبت دار الخلافة وذلك سنة 334 هـ وقد بايع للمطيع وجعلة خليفة بعده ، وقيل ان سبب ذلك يعود الى ان الخليفة دعا جميع انصاره للاجتماع بهم، وقد حضر الدعوة عدد من قادة الديلم؛ لذلك خشي معز الدولة ان ذلك الاجتماع مدبر لإخذ البيعة من هؤلاء القادة والمتنفذين للخليفة العباسي، ونقض رئاسة معز الدولة، فساء ظنه، كما ان الخليفة العباسي قبض على رئيس الشيعة ولم تنفع معه الوساطات، ثم اطلق سراحه فذهب الى معز الدولة واخبره عن مراسلة الخليفة له وطلب الطاعة والولاء له، الامر الذي اثار شكوك معز الدولة.

3- حاول الامراء البويهيين تثبيت سيطرتهم من خلال الضرب على العامل المذهبي (الصراع بين السنة والشيعة)، فتحججوا بانهم جاءوا للانتصار للشيعة، لكن واقع الحال ان هذه ذريعة تذرعوا بها، واتضحت جليا بعد دخولهم الى بغداد بان الهدف الاساس لهم

هو احكام السيطرة على مقدرات الامة واضعاف مؤسسة الخلافة، ففي الايام الاولى حاول معز الدولة اقامة خلافة علوية، ووقع اختياره على رجل من العلويين، كان يقيم في نواحي بلاد فارس، هو: ابو الحسن بن محمد بن يحيى الزيدي، وهو من كبار العلويين ذاع صيته بالتدين وحسن السيرة، واقترح عليه معز الدولة ان يسلمه الخلافة وزمام الامور، اعتقادا منه بأحقية آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) بتولي امور المسلمين، كان رد فعل الرجل العلوي للامير معز الدولة البويهي بتقديم الشكر له على الثقة والتقدير، والاعتذار عن قبول ذلك العرض، ونصح الامير البويهي بالعدول عن هذه الفكرة؛ لأن عامة الناس في الاقطار والامصار اعتادوا الدولة العباسية، ودانوا بالولاء لبني العباس ووجودهم ولاة امر لهم.

وقيل ان وزير معز الدولة البويهي وهو ابو جعفر محمد بن احمد الصيمري (ت:339هـ/950م) عارض تنفيذ هذه الفكرة، قائلا: "اذا بايعته استنفر عليك اهل خراسان وعوام البلدان واطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا امره فيك"؛ لذلك عدل معز الدولة عن مشروعه وتخلى عن فكرته.

وهكذا نستنتج ان العلاقة بين الخلفاء العباسيين والامراء البويهيين كانت علاقة عدائية تسوقها المصلحة؛ وذلك لان البويهيين من الشيعة الزيدية، وكانت نظرتهم للعباسيين بانهم معتدين على كرسي الخلافة، فابقوا العباسيين تمويها للرعية وتسييرا للأمور، ولم يبق للخليفة العباسي سوى نفوذه الديني، فكان دوره مقتصرا على تعيين القضاة وائمة الصلاة وقوّام المساجد، ولابد من القول هنا ان البويهيين لم يكونوا مدافعين عن الشيعة بل كانت تقودهم مصلحتهم بالدرجة الاولى، وما يؤكد قولنا هذا هو ما حدث من مشاحنات بين السنة والشيعة في ايام البويهيين ولم ينتصر البويهيين للشيعة على اخوانهم السنة، بل ان كل احتلال اجنبي مهما كانت قوميته وجنسه لا يعمل الا بـ المنهج الذي يخدم مصالحه، وكان من مصلحتهم هو عدم توحيد المسلمين بل تفرقتهم لتسهيل السيطرة عليهم، اما الامراء البويهيين فقد ناصبوا الخلفاء العباسيين العداء وعملوا على التخلص من اي خليفة تنشط عنده القوة للوقوف بوجههم فيعملون على التخلص منه بعزله او قتله واستبداله بآخر ضعيف يتمكنون من التحكم فيه، وسنوضح كيف ان العلاقة ساءت بين الامير البويهي والخلفاء العباسيين

المحاضرة السادسة

التسلط البويهي 334 – 447هـ

تجاوزات التسلط البويهي على العروبة والاسلام

Buyid authoritarianism 334 - 447 A.H.

لابد من الاشارة الى ان الديالمه لم يتقبلوا الاسلام ورفضوا الدخول فيه على الرغم من خضوع بلادهم لقادة الفتح العربي الاسلامي منذ العصر الراشدي ، واستمر موقفهم المعادي للإسلام حتى بداية القرن الرابع الهجري حيث اسلم بعضهم على يد الحسن الاطروش ولا يمكن تفسير رفض دخولهم الاسلام على مدى اربع قرون الا لتعلقهم الروحي بالديانة الزرادشتية القديمة وقد تزامن اسلامهم مع نشاطهم السياسي في بداية القرن الرابع لذلك فان اسلامهم كان بدافع سياسي ولمصلحة عنصرية

اولا : محاولات البويهيين في مجال افساد العقيدة الاسلامية :

اظهر البويهيين تعاطفاً مع افكار وعقائد هدامة مناهضة للإسلام ففي سنة 340 ظهر رجل ادعى الربوبية فغض البويهيين الطرف عنه في حين ادعت امرأة ان روح فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) قد حلت فيها وادعى بعضهم ان ارواح الائمة حلت فيهم مستعيدين افكار الحلول والتناسخ القديمة ، ولم يحاسبهم القادة البويهيين على ذلك ، كما ادخل البويهيين عادة تقبيل الارض والسجود عند رؤية الخليفة وذلك ما يعارضه الاسلام التي لا تجيز الركوع الا لله سبحانه وتعالى ، في الوقت نفسة اباح عضد الدولة البويهي (الزنا) وجعلة مهنة مرخصة وفرض عليه الضرائب ، وهذا يتناسب مع عقيدتهم وافكارهم الهدامة وتحللهم الاخلاقي وخاصة اتباع (المزدكية) .

تظاهر الحاكم البويهي بحبة لال البيت ورفعوا الشعار العلوي وتستروا به في محاولة لمعارضة الخلافة العباسية غير انهم قد تسلطوا على رقاب ال البيت فنجد عضد الدولة يسجن مقدم العلويين محمد بن عمر بن يحيى بسبب خوفه من تعاظم نفوذة وبقى في سجنه حتى تولى شرف الدولة بن عضد الدولة ، غير انه ما لبث ان سجنه مرة اخرى وصادر اموالة وابقي في سجنه حتى مات سنة 369 هـ كما قبض عضد الدولة البويهي على نقيب العلويين ابي احمد الحسين الموسوي وعلى اخيه عبد الله وقاض القضاة ابو محمد ونفاهم الى فارس ، وعندما اراد ان يستبدل الخليفة العباسي بخليفة علوي اشار عليه اصحابه بالعدول عن ذلك بقولهم له ((انك الان مع خليفة لا نعتقد نحن ولا انت

بشرعية خلافته ، فمتى اردت خلعة خلعناه ولكن ان جئت بخليفة علوي نعتقد نحن وانت بشرعيه خلافته ، فلو امرنا بقتلك قتلناك)) فاترك الامر .

قام الامير البويهي بضمان القضاء مقابل اموال سنوية تذهب الى خزائنهم فقد ضمن معز الدولة البويهي القضاء لابي العباس بن ابي الشوارب مقابل (200000) درهم سنويا وهذا الامر قد فتح باب الرشوة والفساء في مؤسسة القضاء وضاع حق الناس البسطاء لان من يدفع اكثر يربح الدعوى ,كما اكلت اموال اليتامى واوقاف المساجد وقد عارض الخليفة المطيع غير انه لم يقدر على فعل شي لضعفة امام الامير البويهي ، كما ضمن الامير البويهي الحسبة وعينوا عليها اشخاص ماجنين

ثانيا : التجاوز على شخصية الخلفاء :

حاول الغزاة هدم الشخصية العربية الاسلامية من خلال تجاوزهم على شخص الخليفة ففي عام 334هـ وبعد دخولهم بغداد واحتلال العراق سار معز الدولة البويهي احمد بن بويه الى دار الخليفة متظاهراً باحترام الخليفة المستكفي ، الا انه في الحقيقة قد قام بسحب الخليفة من مجلسه واقتاده ذليلا الى دار معز الدولة وسملت عيناه واودع السجن ومات سنة 338هـ واصبح احمد بن بويه الحاكم الفعلي للسلطة فنصب المطيع لله خليفة وحرمة من وزيرة وعين له كاتبا ، وفي سنة 336هـ بقطع راتب الخليفة وتعويضه باقطاع من اراضي البصرة ، كما اجبر الحاكم البويهي عز الدولة بختيار بن احمد بن بويه الخليفة المطيع على بيع ثيابه واثاث داره وقبض ثمنها ، وفي عام 364 هـ اقدم عضد الدولة عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة على اسقاط اسم الخليفة من خطبة الجمعة على منابر بغداد لمدة 50 يوم في محاولة لإلغاء الخلافة العربية ، اذ تجرأ الحاكم البويهي في عام 381 هـ بهاء الدولة على القبض على الخليفة الطائع بنفس الطريقة التي اهين بها الخليفة المستكفي واخذ من مجلسه واجبر على التنازل لولدة القادر .

زاد الامر سوء حينما شارك الامير البويهي الخليفة في شارات الخلافة التي تعبر عن سيادة الخليفة السياسية والدينية ومنها الخطبة حيث دخل اسم الامير البويهي الى جانب اسم الخليفة في خطب الجمعة واول من حصل على هذا الامتياز هو عضد الدولة سنة 368 هـ ، كما شارك البويهيين الخلفاء في ضرب السكة (النقود) فحذفوا القاب الخلفاء وذكروا اسمة مجرد فقط في حين وضعوا اسمائهم والقابهم على النقود ، وشاركوا الخلفاء في قرع الطبول على ابوابهم ثلاث مرات اوقات الصلاة وهذا التجاوز لم يجرأ احد قبلهم على فعله .

نجح الامير البويهي عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة بإصدار قرار تفويض من الخليفة الطائع جاء فيه ((قد رأيت ان افوض اليك ما وكله الله الي من امور الرعية في شرق الارض ومغربها ... وجميع جهاتها سوى خاصتي واسبابي وما تحويه داري

)) وهذا اكبر اذلال واهانه لشخص الخليفة اذ اصبح لا يحمل من الخلافة وامورها سوى الاسم فقط .

اذ تلقب الحكام البويهيون بلقب: (أمير)، وانهم استخلفوا وظيفة أمير الأمراء، وتلقبوا بألقاب مختلفة، فقد اعطى عضد الدولة البويهي لقب: (تاج الملة والدين)، وفي سنة 381هـ ومنح الخليفة القادر بالله الأمير البويهي بهاء الدولة لقب: (غياث الأمر)، وفي سنة 429هـ ازدادت ألقاب جلال الدولة بلقب: (شاهنشاه الأعظم) أي: ملك الملوك، وخطب له بذلك، وفي سنة 430هـ/ 1038م منح جلال الدولة لقب: (الملك الوزير).

حاول الامراء البويهيين السيطرة على الخلافة عن طريق الزواج اذ زوج الامراء البويهيين بناتهم لبعض الخلفاء املا في الحصول على مولود ذكر كي يجعلوه وليا للعهد وتكون الخلافة لهم ففي عام 364هـ زوج عز الدولة بختيار ابنته (شاه باز) من الخليفة الطائع وزوج عضد الدولة بن فناخسرو ابنته الكبرى من الخليفة الطائع سنة 369هـ وفي عام 383هـ عقد بهاء الدولة لابنته سكينه على الخليفة القادر بالله ولكنها ماتت قبل الزواج وقد فشلت جميع المحاولات البويهييه في الحصول على السلطة

كان الأمراء البويهيون يترضّون الخلفاء العباسيين، ويظهرون لهم الطاعة ارضاء للجمهور وطمعا في أن يمنح الخليفة لهم الألقاب التي كان يهواها أمراء بني بوية، ولما شعر البويهيون بنفوذ الخليفة الديني في الاوساط الشعبية فانهم اصبحوا يتظاهرون في المناسبات لإظهار الشعور الكريم والطاعة الكلية لمقام الخليفة، ففي عقد حفلة العهد لى عضد الدولة البويهي سنة 369هـ جلس الخليفة الطائع على السرير وحولة مائة بالسيوف والزنية وفي يدية المصحف الشريف، وعلى كتفة البردة وبيده القضيب وهو متقلد سيف النبي صلى الله علية وعلى آله وسلم، وضربت ستارة بعثها عضد الدولة وسال أن تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين أحد من الجند قبله.

ولعل ما ذكرناه يمثل صورة جليّة للتناقص الكبير في معاملة الخلفاء العباسيين، فالأمراء البويهيون يتظاهرون بالولاء والخضوع للخليفة العباسي أمام الناس وفي المناسبات؛ ليكسبوا رضا الجمهور العام، ولكي يقال أن الامير البويهي يحترم الخليفة، وبذلك يبعدوا عنهم سخط العامة ومعارضتهم، بينما كانوا في خصوصياتهم يثقلون على الخليفة العباسي في مطالبهم، ويسعون الى تجريد الخلافة من مظاهرها وخصائصها وعوامل قوتها.

والخلاصة ما تقدم من العلاقة بني بوية بالخلافة العباسية، أو السلطة الحقيقية انتقلت من يد الخلفاء الى بني بوية، ومن الطبيعي ان يتوقع الناس يومئذ من بني بوية ان يصلحوا أمورهم.

لم يكن اذلال الامير البويهي لشخص الخليفة فقط بل شمل السكان الامنيين ، فقد استندت قوة البويهيين على اساليب البطش والقسوة في تعاملهم مع اهل العراق ، وهاجموا الامنيين في منازلهم واستباحوا الحرمات وهتك جنودهم الاعراض وهجروهم من

دورهم وسيطروا عليها كما سيطر البويهيين على ارزاق العامة من المزارع والمحال وكل شيء ينتج ويدر اموال ، واستخدموا قاعدة فرق تسد اذ شجع البويهيين الفتن واججوها في اسواق بغداد ومناطقها بين السنة والشيعة وهذه سابقة لم يعهدها او يعرفها اهل بغداد او العالم الاسلامي من قبل ، والعجيب ان الجند البويهي لم يقف الى جانب الشيعة في صراعهم ما اخوانهم السنة بل يشعلوا الفتنه وينسحبون ، وبذلك يظهر كذبهم وزيفهم في دفاعهم عن ال البيت واتباعهم ، وشهدت الاعوام 338- 348- 349-354-355-381 هـ اكثر الفتن دمويه بين السنة والشيعة في بغداد وكان البويهيون هم المستفيد الوحيد من اشعال هذه الفتن

المحاضرة السابعة

الاوضاع الاقتصادية في عصر التسلط البويهي334-447هـ

Economic Conditions in the Era of Buihi Authoritarianism, 334-447 A.H.

الاوضاع الاقتصادية

تردت الاوضاع الاقتصادية في عهد الفوضى التركية وازداد الامر سوء حينما استحدث منصب امير الامراء ، ولقد الحقت هذه الاوضاع المتردية اضرارا بمعنويات الناس وبحالتهم الاقتصادية، لاسيما بعد كثرة المصادرات التي مارسها امير الامراء جعفربن شيرزاد الذي صادر اموال الناس بكثرة خصوصا اموال التجار والاغنياء، وتفنن في فرض ضرائب اضافية من اجل توفير اموال الجند، مما اضطر التجار الى الرحيل عن بغداد، وكان الناس ينتظرون من ينقذهم ويخلصهم من هذه الاوضاع المزرية ويعيد حالة الامن الاستقرار الى البلاد.

وبدخول البويهيين بغداد استبشر الناس خيرا فيهم ومما لا شك فية ان بعض الأمراء البويهيين قاموا بإصلاحات في العراق، ابرزها أصلاح نظام الري وتحسين شؤون الزراعة، لاسيما في عهد معز الدولة وعضد الدولة، وكانت لتلك الإصلاحات آثار طيبة في تقدم الزراعة ورفاهية السكان، لكن الدولة كانت بشكل عام بحاجة الى الأموال، وخزانتها كانت لا تسد ولا تكفي نفقات العمران الزراعي والتنظيم العسكري، فقد كان الجيش في حاجة كبيرة الى الأموال.

ويبدو ان البويهيين لم يكونوا من ذوي الخبرة في التنظيم الاقتصادي؛ لذلك اتبعوا سياسة

زراعية عادت على البلاد بخسائر فادحة، كما أدت الى خراب أرض السواد (وسط وجنوب العراق)، فقد منح معز الدولة البويهي الاقطاعات لجنده دون حساب، كما اجتهد عضد الدولة وصار يمنح لجند إقطاعات من أراضي الوقف، وتحكم هؤلاء الجند في أراضيهم الزراعية التي اقطعت اليهم، فضلا عن تحكمهم بزرّاعها (الفلاحين) كما شاؤوا، ولم يدفع اولئك الجند شيئا يذكر لخزانة الدولة.

ان الاقطاعات التي أقطعها معز الدولة البويهي للقادة وكبار الموظفين والجند، إنما أراد بذلك ربطهم، خاصة الجند بالأرض؛ لاسترضائهم وتقوية جانبهم، لكنه من جهة اخرى ادى الى فعل معاكس، يتمثل في حرص اولئك القادة على جمع الموال وحيازة الأرباح وعدم الالتزام في دفع مقدار الضمان بذرائع شتى، اي مقدار المبلغ المفروض دفعة لخزانة الدولة، كانت من ابرز نتائج ذلك فشل محاولات معز الدولة في اصلاح نظام الري والزراعة، التي أدت الى إرهاق الخزانة بالاموال، لتضاؤل مواردها، كما كان معز الدولة كثير النفقة على جنده، مما أدى الى إفلاس الخزانة، وبذلك تعذر عليه ان يدخر ذخيرة لنوائبه، أي يجمع أموالا يحتاط بها لمواجهة المشاكل وألازمات الطارئة والمفاجئة، كما لم يخزن ما يفضل من أموال خراج الارضي الزراعية، هكذا كانت نفقاته تزداد وموارده تنقص؛ لذلك حصل العجز في خزانة الدولة وأموالها بمرور الايام .

ويمكننا وصف الأمراء الذين حكموا العراق بعد معز الدولة البويهي، باستثناء عضد الدولة، بانهم كانوا بعيدين كل البعد عن الفهم السياسي والحزم الإداري، مما عجل في إرباك أمور الدولة والأسرع في سقوطها، فقد أشتغل (بختيار) نفسه باللهو واللعب، وكان لا ينظر في دخل ولا خرج، وأنما كلف وزيره بتمشية الامور من حيث لا يعنيه ولا يمنع أحدا من جنده شيئا، فاذا وقفت أموره قبض على وزيره واستبدله، فلا يلبث الأمر ان يعود الى أسوأ ما كان من الإبطاء والتأخر والتردد.

وقد اساء بعض المسؤولين البويهيين التصرفات، مما أدى الى إرباك الحالة الاقتصادية وقلق حياة الناس التجارية والمعيشية حتى توقفت الاسواق واختلت وسائل كسب الناس ومعيشيهم، ومما زاد الوضع سوءاً كثرة المنازعات التي قامت بين الأمراء البويهيين، وبالطبع له تأثيره الكبير في حياة الناس المعيشية.

ولم يقتصر الخراب الاقتصادي على الزراعة فقط بل شمل زيادة واستحداث ضرائب لم تكن موجودة سابقا وفرض على التجار نظام المصادرات وتلاعب الحاكم البويهي بقيمة العملة وبنسبة الذهب في الدينار والفضة في الدرهم لجني الارباح من فاضل الوزن مما ادى الى انتشار الفقر والمجاعة والبطالة بشكل غير مسبوق وعجز الاحتلال البويهي عن اصلاح الوضع الاقتصادي المتدهور وادى ذلك الى هجرة اهل الريف الى المدن وشلل في الانتاج الزراعي الذي يعد عصب الاقتصاد في ذلك الوقت

الخلفاء العباسيين وجهودهم في مقاومة التسلط البويهي (الموقف الرسمي)

تصدى الخلفاء العباسيين للوجود البويهي منذ دخلوهم بغداد عام 334هـ غير انهم عجزوا عن اخراجهم لعجزهم في توفير الاموال اللازمة التي يستطيعون ان يجندوا فيها من يقاوم وجود البويهيين ، فنجد الخليفة المستكفي يتصل بالحمدانيين في الموصل من اجل التعاون في اخراج البويهيين ، فكان ذلك سببا في خلعة من الخلافة واهانته بشكل مزري بعد 12 يوما من دخول البويهيين لبغداد ، في حين نجد ان الخليفة المطيع عارض تعين ابي العباس بن ابي الشوارب لتولي منصب قاضي القضاة وتضمين ذلك المنصب الخطير واصر على عدم الموافقة وتحديه امر معز الدولة احمد بن بويه ، قام الخليفة الطائع على التعاون مع سبكتيكن القائد التركي في مواجهة التسلط البويهي ، وعند موته اختار الخليفة القائد الفتكين دون العودة الى راس السلطة البويهيه وقامت في نفس الوقت ثورة ضد الوجود البويهي يتزعمها الخليفة الطائع والقائد الفتكين غير ان وصول امدادات عسكرية بويهيه لبغداد قد افشل الثورة ، وقد قام عضد الدولة بمنع ذكر اسم الخليفة في خطب الجمعة مدة 50 يوما ، واستمرت العلاقة العدائية بين الخليفة العباسي والامير البويهي مما دفع الخليفة الطائع سنة 381هـ بعزل وسجن الحسن بن المعلم ابرز اركان السلطة البويهيه وكان ذلك الامر سبباً مباشراً في عزل الخليفة من قبل الامير البويهي وسمل عينية وجدع انفه وقطع اذنيه ومن ثم قتله ، لكي لا يفكر أي خليفة من بعدة في مقارعة الوجود البويهي .

تولى الخليفة القادر بالله 381-422هـ الخلافة وكان النفوذ البويهي بدأ بالضعف فاستغل حالة الضعف وقوى علاقته بالجماهير الغاضبة واظهر هيبة الخلافة واهتم بأمور الرعية وقام بالعديد من الاصلاحات والجلوس للنظر في المظالم ، كما اقدم الخليفة القادر على تعين وابنه ولي للعهد متحديا الوجود البويهي ، كما رفض الخليفة في سنة 394هـ قرار الامير بهاء الدولة في تعين احمد الموسوي قاضي القضاة والحج والمظالم ونقابة الطالبين ، وكان رفضة قد حجم دور الامير وعزز من صلاحيات الخليفة كما ابعد الخليفة في سنة 398 هـ الفقيه ابن المعلم وذلك لاثارته النعرات الطائفية وامر بسجن العديد من انصاره واخرج من بغداد ، اصدر الخليفة القادر بالله سنة 420هـ منشوراً عرف بالمنشور القادري والذي نص على الاللتزام بما جاء في كتاب الله وتطبيق سنة رسول الله صل الله علية وسلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان ذلك المنشور اكبر ضربة لمصالح الامير البويهي اذ قلص من نفوذة وقطع عنه اموال البغاء والفواحش

المقاومة الشعبية للوجود البويهي :

اتخذ الموقف الشعبي من الوجود البويهي اشكال عديدة منها الثورات المستمرة في شوارع بغداد وبعض المدن وخصوصاً مدينة الموصل ضد نفوذهم ، وكان البعض منها مسلحا ففي عام 362هـ هاجمت جماهير بغداد صاحب المعونة وقتلوه في الجانب الشرقي ، كما كان الاهالي يهاجمون السجون ويطلقون من فيها من السجناء ، ويذكر انه

في سنة 391 هاجم الشعب تجمعا للديلم في طاق الحراني واضرموا النار فيه واحرقوا بعضا منهم اما اهم ما يميز المقاومة الشعبية هي ظهور حركة العياريين والشطار كقوة مواجهة ضد النفوذ البويهي وتنقسم حركة العياريين والشطار الى ثلاث مراحل هي

1/ المرحلة الاولى 334-400هـ 2/ المرحلة الثانية 400- 425هـ 3 المرحلة الثالثة 425-447هـ

مقدمة للمقاومة الشعبية :

ان حركة العيارين التي برزت في هذا العصر وليدة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية القائمة، وهي تمثل حركة معارضة لتلك الاوضاع المتردية، وقد وصف المؤرخون هؤلاء العيارين بانهم لصوص، وان حركتهم لم تقم الا لغرض اشاعة الفوضى والفساد، لكن بالإمكان ان نتلمس في بعض أعمال كبار العيارين صفات الانسانية والرجولة.

والعيار لغة تعني: الكثير المجيء والذهاب في الارض، وقيل هو: الذكي الكثير التطواف، والعرب تمدح العيار وتذمه، يقال غلام عيار نشيط في طاعة الله عز وجل، وغلام عيار نشيط في المعاصي.

ويبدوا ان لحركة الفتوّة التي ظهرت في عصور لاحقة صلة بحركة العيارين، فالعيارون يسمّون طريقتهم: (الفتوة) وربما حلف احدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب، ومن مبادئهم ان الفتى لا يزني ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة، فالفتوة: كف الأذى وبذل الندى.

وللعيارين بعض المبادئ الانسانية السامية الجديرة بالتفحص والدراسة، واشتهر في هذا العصر: البرجمي العيار الذي استبد ببغداد بين 421-425هـ ، وبلغ من عجز السلطة تجاهه أن العامة ثاروا بالخطيب في صلاة الجمعة، وقالوا له اما ان تخطب للبرجمي والا فلا تخطب للأمير البويهي ولا غيرة، وكان البرجمي قد تعهد سنة 425هـ بحفظ الأمن، وكان يجبي الضرائب في الاسواق وعلى اماكن الترف والراحة، وكان مع هذا فيه فتوة وله مروءة، لم يتعرض الى امرأة ولا الى من يستسلم اليه.

وقد ركز العيارون هجماتهم على بيوت الأغنياء وكبار التجار وأصحاب الشرط والمتنفذين، وقد ظهر العيار عزيز في باب البصرة من أبواب بغداد (محلة)، والتحق به كثير من الشطار وطرح النار في المحال، وطلب أصحاب الشرط، ثم صالح أهل الكرخ، وقصد سوق التمارين وطالب بضرائب الامتعة، وجبى الضرائب في الاسواق الباقية، وكاشف السلطان وأصحابه متحديا لهم، ونادى فيهم وكان ينزل الى السوق، ويطالب بالضرائب واصحاب السلطان يرونه من الجانب الاخر لنهر دجلة ولا يتعرضون له.

ويبدو ان العيارين كانوا من السنة والشيعة، ففي سنة 392هـ زاد أمر العيارين والفساد ببغداد، وكان فيهم من هو عباسي وعلوي، فواصلوا أعمالهم وأخذوا الاموال وقتلوا

وأشراف الناس معهم.
وكانت للعيارين تنظيمات خاصة بهم، ويتمزوا بدرجات معلومة في السُلّم الرئاسي، ومن درجاتهم: (المتقدم)، كان البرجمي –على ما يظهر- يحمل لقب (متقدم)، ودرجة (القائـــــد)، ودرجة (الرئيس) فقد كان لكل محلة رئيس وقد يجتمع فيها عدة رؤساء.
وفي أواخر العصر البويهي كانت الدولة تستعين بالعيارين، ففي سنة 421هـ ، تقلد أبو احمد النسوي النظر في المعونة ولقب بـ: (الناصح) واستُحجِب وخلع عليه، فاستدعى جماعة من العيارين وأقامهم أعواناً وأصحاب مسالح وانتشر العيارون في بغداد بشكل خاص، ومع وجود بعض العيارين من يحمل روح الفتوة ومبادئها السامية، الا أن سوء الاوضاع وأنهيار الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، جعل الكثير من العاطلين والشُقاة ينخرطون في صفوف العيارين؛ الأمر الذي أدى الى ان تصطبغ هذا الحركة بصبغة اللصوصية والعدوان، ومهما يكن فان ظهور العيارين وانتشارهم واستبدادهم في بعض الاوقات بالأمور، ما هو الا دليل واضح لحالة التردي الذي أصاب الدولة العباسية والوجود البويهي في العراق ومع ذلك فان حركة العياريين والشطار كانت من ابرز وجوه المقاومة الشعبية ضد الوجود البويهي

المرحلة الاولى 334- 400هـ

شارك في هذه الحركة كل فئات الشعب من السنة والشيعة ففي سنة 361هـ هبت جموع الشعب لأنجاد اهالي الرها والجزيرة الفراتية ضد الروم فاستغل العيارون الفرصة وهاجموا السلطة البويهيه بعدما تكاسل الامير البويهي في صد هجوم الروم ، وفي سنة 364 هـ هاجم العيارون قوات الاحتلال البويهي وسيطروا على مقاليد الامور واخذوا الضرائب من الاسواق والدروب وكان زعيمهم (الزبد العاري) مستغلين انشغال الامراء البويهين في الاقتتال الداخلي بين عضد الدولة وابن عمه عز الدولة بختيار ، وقد نشطت حركة العياريين بين عامي 379-380 هـ وتحدوا السلطة البويهية جهارا وفي وضح النهار وقتلوا كل من يتعرض لهم واصبح لكل درب امير ولكل محلة في بغداد مقدم ، وازدادت قوة العياريين حينما تسلم زعامتهم (عزيزي البابصري) عام 384هـ واستمر نشاط العيارون والشطار في تحجيم النفوذ البويهي ، حتى استطاع عميد الجيوش ابو علي من هزيمتهم وايقاف نشاطهم بشكل مؤقت وذلك في عام 393هـ

المرحلة الثانية 400-425هـ

استغل العيارون ضعف السلطة البويهية فزداد نشاطهم ففي سنة 408هـ صادر العيارون والشطار كثير من الاموال التابعة للأمير البويهي وفي سنة 416هـ خرج العيارون الى الشوارع مستهينين بالسلطة البويهية وتحدوهم اذ كانوا يحملون المشاعل ليلا حتى تمكنوا من نهب خزانة الحاكم البويهي مشرف الدولة ، وفي سنة 420هـ

تصاعد نشاط حركة المقاومة بزعامة (ابي يعلى الموصلي) الذي اتخذ من (عكبر) منطقة خارج بغداد مقراً له فكان يهاجم مقرات الجند البويهية ويقتلهم ويسلب منهم اموالهم وفي نفس العام برز زعيم اخر كان له الاثر الاكبر في حركة المقاومة الا وهو (العيار البرجمي) حيث عرف بشدته وباسه فكان لا يتردد هو ورجاله في الهجوم المباشر على مقرات ودور رجالات السلطة البويهية مما دفع العديد من رجال السلطة الى نقل اموالهم وخيولهم بالقرب من مقر الخليفة ، وفي سنة 422هـ استطاع العيار البرجمي واتباعه من نهب العديد من متاع الحاكم البويهي ومن مقرهم ، وبذلك يكشف عجز الامير البويهي عن حماية نفسة وأمواله امام هجمات العيارون ، حتى اصبح العيار البرجمي اشبه بالحاكم الفعلي لمدينة بغداد ، وانتهت هذه المرحلة بمقتل العيار البرجمي سنة 425هـ

المرحلة الثالثة 425-447هـ

استغل البويهيين موت البرجمي 425هـ فاصدر الامير البويهي الامان للعيارون والشطار من اجل تفتيت روح المقاومة لديهم ، غير انهم قد هاجموا الامير البويهي جلال الدولة في سنة 426هـ لتصبح بغداد فعليا بأيدي المقاومة الشعبية وتتابعت العلميات العسكرية ضد رجالات السلطة البويهية واتباعهم حتى ضعفت سلطاتهم فعليا ممهدين لأنهاء وجودهم في ضل تصاعد قوة الخلفاء العباسيين من جهة وظهور قوة السلاجقة على المسرح السياسي من جهة اخرى فكانت نهاية الاحتلال البويهي سنة 447هـ

المحاضرة الثامنة

نهاية الاحتلال البويهي في العراق 447هـ

The end of the Bouayhi occupation in Iraq 447 AH

ضعف النفوذ البويهي وانحلاله:

كان للمقاومة العربية دور كبير في اضعاف سلطات الاحتلال البويهي واسقاطها الى جانب توفر عوامل اخرى قد عجلت في سقوطهم ويمكن تقسيم تلك العوامل الى

اولاً : العوامل الداخلية ثانياً : العوامل الخارجية

اولاً :العوامل الداخلية :-

أ / الصراع الاسري :

ظهرت بوادر الصراع الاسري بين افراد البيت البويهي بعد وفاة معز الدولة (احمد بن بويه) سنة357هـ فقاد حبشي بن معز الدولة ثورة ضد اخيه عز الدولة بختيار والذي خلف اباه في حكم العراق فقمع التمرد وسجن حبشي ولم يطلق سراحه الا بعد توسط عمه ركن الدولة ، في حين تمرد عضد الدولة بن ركن الدولة في عهد ابيه حاكم شيراز سنة 364هـ على ابن عمه عز الدولة بختيار طمعا في بغداد ، واراد عضد الدولة احتلال بغداد غير ان والده رفض ذلك الامر وهدده بالعودة الى شيراز مقر حكمة وكان هدف ركن الدولة ابقاء قوة البيت البويهي بتماسكهم ، غير ان الامر تغير بعد وفات ركن الدولة 366هـ اذا سار عضد الدولة بقواته صوب بغداد ونجح في احتلالها وقتل ابن عمه عز الدولة بختيار .

لم ينتهي الامر بذلك بل تجدد الصراع على السلطة بين عضد الدولة واخويه مؤيد الدولة وفخر الدولة واستمر فخر الدولة في معارضة اخيه ، وبعد موت عضد الدولة 372هـ ازداد الصراع بين ابنائه الثلاثة صمصام الدولة وشرف الدولة وبهاء الدولة ، ودخل عمهم فخر الدولة طرفا في الصراع ، وتمكن صمصام الدولة من السيطرة على بغداد حتى سنة 376هـ اذ قبض عليه اخوه شرف الدولة وسجنه في شيراز ، لم يستمر حكم شرف الدولة سوى ثلاث سنوات اذ في سنة 379هـ مات شرف الدولة ليكون اخاه بهاء الدولة من بعده فعاد الصراع من جديد اذا اطلق الجند الاتراك سراح صمصام الدولة وساعدوه ضد باقي الامراء لتدخل البصرة والاحواز في دوامة الصراع وخربت الاراضي والمزارع وعم الخراب ولم ينتهي هذا الامر الا بعد مقتل صمصام الدولة 388هـ ، واستمر الصراع الاسري ينخر في جسد الاسرة البويهيه حتى تولى اخرهم الامير خسرو فيروز(الملك الرحيم) 435-447 هـ والذي عاصر سيطرة قوات السلاجقة على بغداد لتنتهي حقبة الاسرة البويهيه .

ب/ التمرد العسكري :-

قامت الامارة البويهيه على اكتاف الفرس الديالمه في بادئ الامر غير ان زعمائهم بعد ذلك اعتمدوا على العنصر التركي ففتحوا بذلك المجال للصراع الداخلي في المؤسسة العسكرية بين الجند الديالمه والجند الاتراك اذ في سنة 337هـ حصل نزاع بين معز الدولة وخاله (اصفهدوست) كبير قادة الديالمه الذي عارض تطور العلاقة بين معز الدولة والقادة الاتراك الذين بدأوا يتسلمون مناصب قيادة كبيرة في الجيش ، مما دفع الجند والقادة الديالمه للتمرد ضد الامير البويهي فقد قاد (روزبهان الديلمي) تمرداً في العراق في حين قاد اخوه (بلك) في شيراز وتعاون معهم (اسفار) في الاحواز مما ولد ضغط كبير على الامير البويهي مستغلين ضغط الاسرة العربية الحمدانيين في الموصل

ومقاومة القبائل العربية في البطائح جنوب بغداد ، غير ان معز الدولة استطاع ان يتخلص من الثوار ويقضي عليهم وقام بعمل انه نفى كل الجند الديالمه من قوات الجيش ومنح القادة الاتراك رتب عاليه مكافئة لوقوفهم معه ، غير ان بعد موت معز الدولة وتولي ابنه عز الدولة وما صحابها من مشاكل عسكرية اضطر ان يعيد الجند الديالمه الى الخدمة فثار الجند الاتراك ضده فامر عز الدولة بختيار بنهب اموال الجنود الاتراك فقامت ثورة في بغداد بقيادة القائد(سبكتكين الحاجب) سنة 363هـ فسيطر على بغداد واحرق دار الامير البويهي واخرجهم من بغداد غير ان وفاته المفاجئة وتولي الفتكين قيادة الاتراك والذي سار على نفس نهج سبكتكين قد زاد من صعوبة موقف عز الدولة فستعان بابن عمه ركن الدولة الذي انجدة بابنه عضد الدولة مع قوات كثيرة كما استنجد عز الدولة بعمران بن شاهين الزعيم العربي في البطائح والحمدانيين في الموصل مقابل تنازلات كبيرة حتى استطاع ان يسيطر على الموقف من جديد ، وذلك يكشف لنا مدى ضعف السلطة البويهي في بغداد لو كان هناك خليفة قوي لكان قد استثمر الموقف لصالح الخلافة .

ج: السياسة الاقليمية :-

ضيق بني بويه على انفسهم وانحصر مجال نفوذهم في الري وفارس والاحواز واحتلوا العراق واصبحوا بمعزل عن مشاكل العالم الاسلامي ، فلم يفكروا يوما في مواجهة الروم ولم يأبهوا حتى بما تقوم به ضد المسلمين فلم يساهم اي امير منهم في الدفاع عن ارض الاسلام او حتى صد غارتهم المتكررة وتكفلت بذلك الاسرة الحمدانية في الموصل وحلب ، بل كان البويهين يختارون اصعب الاوقات للهجوم على الاسرة الحمدانية خصوصا عندما يهجم الروم البيزنطيين ضدهم ، فكانوا سكين في ظهر الاسلام .

كما لم يشارك البويهيين في اي حملة في المشرق الاسلامي للدفاع عن ارض الاسلام بل حمل اعباءها الاسرة الغزنوية والاسرة السامانيه وهم بذلك اثبتوا انهم قوة محتلة غاشمة هما السلب والنهب ولا يهما من امور المسلمين شيئا بل كان هدفهم تحطيم قوة الاسلام واذلال اهله وشعبة وحكام المسلمين .

ثانياُ العوامل الخارجية :-

ان من اهم عوامل انهيار الاسرة البويهي هو قيام الاسرة الغزنوية في خراسان 351-582هـ اذ ساعد قيام تلك الاسرة على انهيار الاسرة البويهية ونهايتها عن طريق المنافسة العسكرية على بعض مناطق النفوذ البويهي وتقليصها ، كما ان الدعم الذي قدمة امراء الاسرة الغزنوية للخليفة العباسي كان له الاثر السلبي على الامير البويهي اذا قلص من نفوذهم في حين زاد الخليفة العباسي قوة ونفوذاً بالاستناد على الامراء الغزنويين الذين باستطاعتهم ان يقضوا على الوجود البويهي ، ومن سوء حظ الاسرة

البويهيه انها تعاونت مع الذين تمردوا ضد الاسرة السامانية في عام 384هـ فطلب الامير نوح الساماني المساعدة من سبكتين الغزنوي مساعدة ضد المتمردين ، الذين تعاون معهم فخر الدولة الامير البويهي ، من اجل ضرب الاسرة السامانية والاطاحة بها ، غير ان الغزنيوين والسامانيين استطاعوا من تحطيم قوات البويهين ومن ساندهم من المتمردين ، وخسر الامير البويهي العديد من الاراضي لصاح سبكيكين الغزنوي .

بعد تولي محمود الغزنوي 388-421هـ في خراسان وخطب للخيفة القادر بالله العباسي ، ثم سعى في توسيع نفوذة في اقليم الجبل وبلاد الري حتى ضمها الى امارته وخسر بذلك البويهيين مناطق نفوذ كبيرة ،.

ظهرت بعد ذلك الاسرة السلجوقية في حدود سنة 375هـ والتي استطاعت ان توسع نفوذها سريعا في المشرق فسيطرت على خراسان ومن ثم كامل بلاد ايران حتى دخلوا بغداد 447هـ لتنهي حقبة سوداء في تاريخ العالم الاسلامي عموما والخلافة العباسية خصوصا ، غير ان بغداد رزحت تحت احتلال سلطة اجنبية اخرى الا وهم الاسرة السلجوقية .

المحاضرة التاسعة

ظهور السلاجقة على المسرح السياسي

The emergence of the Seljuks on the political stage

اصول السلاجقة

ينحدر السلاجقة من قبيلة (قنق) التركمانية، وتمثل مع ثلاث وعشرين قبيلة أخرى مجموعة القبائل المعروفة بـ (الغز)، وفي منطقة ما وراء النهر، والتي اسمها اليوم (تركستان)، التي تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقًا إلى بحر الخزر (بحر قزوين) غربًا، ومن السهول السيبيرية شمالًا إلى شبه القارة الهندية وفارس جنوبًا، استوطنت عشائر الغز وقبائلها الكبرى تلك المناطق وعرفوا بالترك تم تحركت هذه القبائل في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي في الانتقال من موطنها الأصلي نحو آ سيا الصغرى في هجرات ضخمة.

وذكر المؤرخون مجموعة من الأسباب التي ساهمت في هجرتهم، فالبعض يرى أن ذلك يرجع لعوامل اقتصادية، فالجدب الشديد وكثرة النسل جعلت هذه القبائل تضيق ذرعًا بموطنها الأصلي، فهاجرت بحثًا عن المراعي والعيش الرغيد، والبعض الآخر يعزو تلك الهجرات لأسباب سياسية، حيث تعرضت تلك القبائل لضغوط كبيرة من قبائل أخرى اضطرت إلى ترك أراضيها بحثًا عن نعمة الأمن والاستقرار وأنها اضطرت أن تتجه غربًا ونزلت بالقرب من شواطئ نهر جيحون ثم استقرت بعض الوقت في طبرستان وجرجان، فأصبحوا بالقرب من الأراضي الإسلامية بعد سقوط الدولة الفارسية الساسانية في فارس (إيران) إثر معركة نهاوند سنة 21 هـ/ 641م

ينتسب السلاجقة إلى جدهم دقاق الذي كان مع قبيلته في خدمة أحد ملوك الترك وكان يدعى بيغو، وكان دقاق في هذه المرحلة من تاريخ السلاجقة مقدم الأتراك الغز، ومرجعهم إليه لا يخالفون له قولًا ولا يتعدون له أمرًا، وكان سلجوق بن دقاق في خدمة بيغو كما كان والده من قبل، حيث كان يشغل وظيفة عسكرية مهمة (مقدم الجيش). وفي هذا الوقت تذكر المصادر أن مظاهر التقدم وعلامات القيادة بدت واضحة عليه، حتى أن زوجة الملك أخذت تثير شكوك زوجها بخطورته؛ لما رأت من حب الناس له، وانصياعهم إليه إلى الحد الذي أغرته بقتله، وما أن عرف سلجوق بذلك حتى أخذ أتباعه ومن أطاعه وتوجه إلى دار الإسلام وأقام بنواحي جند قريبًا من سيحون، وفيها أعلن سلجوق إسلامه، وأخذ يشن غاراته على الترك الوثنيين.

خلَّف بعد وفاة سلجوق عددًا من الأولاد ساروا على سياسة والدهم في شن الغارات على كفار الترك، وبذلوا جهودًا كبيرة في حماية السكان المسلمين الآمنين من غاراتهم، فازدادت قوتهم وتوسعت أراضيهم وقد أكسبهم ذلك كله احترام الحكام المسلمين المجاورين لهم، فقد غزا ميكائيل بن سلجوق بعض بلاد الكفار من الترك فقاتل حتى استشهد في سبيل الله، وفي نهاية الأمر أجمع السلاجقة على زعامة طغرل بك وقام بتوسيع رقعة سيطرته حتى اتصل بالخلافة العباسية في بغداد، وهذا كان أول عهد الترك السلاجقة بالمشرق العربي

بدايات ظهور السلاجقة كقوة عسكرية:

انهارت الامارة السامانية سنة389هـ وتوفي في نفس العام سلجوق بن دقاق زعيم السلاجقة وخلفه ابنه اسرائيل واستغل السلاجقة انهيار السامانيين وتحالفوا مع الالخانيين وملكهم ايلك خان فسيطروا على بخارى عاصمة السامانيين غير انهم سرعان ما انقلب السلاجقة عليه بالتعاون مع احد امراء الايخانيين والمدعو(علي تكين)والحقوا بايلك خان هزيمة نكراء واعترف بنفوذهم على بخارى

ادى تحالف السلاجقة مع علي تكين قد جرهم الى عداء الغزنويين بسبب تحرشات علي تكين لمحمود الغزنوي ، مما دفع محمود الغزنوي يحتاط لامرهم واتخذ معهم اسلوب المكر فارسل اليهم لعقد اتفاقية ولتكريس الود والاتفاق ، في حين كان يعد العدة للتنكيل

بهم وعلى سواحل نهر جيحونالقى محمود الغزنوي القبض على اسرائيل ومن معه من قادة السلاجقة سنة415هـ وبعثهم الى الهند وسجنوا في احدى القلاع حتى مات اسرائيل في السجن سنة 422هـ

تزعم السلاجقة ميكائيل سنة 416 هـ وفكر في الابتعاد عن الغزنويين وطلب من محمود الغزنوي العبور الى خراسان وقد وافق محمود الغزنوي رغم تحذيرات المقربين له بخطرهم الكبير وكثرة تناسلهم وزيادة اعدادهم بسرعة وفي عام 418 هـ اشتبك والي طوس مع السلاجقة في عدة معارك طاحنة كان النصر فيها للسلاجقة لولا ظهور محمود الغزنوي والذي حول نصرهم الى هزيمة ، توفي ميكائيل بن سلجوق سنة 421هـ وترك ولدان هم (طغرل بك و جغري بك)وكذلك توفي محمود الغزنوي فقاد السلاجقة طغرل بك وفكر في توسيع نفوذ السلاجقة مستغلا موت محمود الغزنوي فتحرك نحو نيسابور طالبا من حاكمها السكن قربها غير انه رفض واستعان بالسلطان مسعود الغزنوي والذي اشتبك معهم غير انه هزم فيها وعقد مع السلاجقة هدنة ترك بموجبها المنطقة للسلاجقة ، وفي عام 426 هـ حاول السلطان مسعود الغزنوي استعادة نيسابور من السلاجقة غير انه خسر الحرب مجددا وتوجه صوب الهند ، واستمر الولاة الغزنويين محاولين استعادة نيسابور من ايدي السلاجقة لكن دون جدوى حتى استطاع طغرل بك من بسط سيطرة على كامل مدن نيسابور وجلس على عرشها وتلقب بالسلطان وضرب باسمة النقود .

في عام 430هـ استفز السلاجقة السلطان الغزنوي مسعود من اجل جره الى حرب وكسر الهدنة فقرر في سنة 431هـ بشن حملة يؤدب فيها السلاجقة ويقضي عليهم غير ان جهودة باءت بالفشل اذ مني بخسارة كبيرة في موقعة (داندانقان) الشهيرة بين مرو وسرخس والتي غنم فيها السلاجقة الكثير من الاسلحة والخيول والاموال ، واستثمروا النصر بالنصر حتى سيطروا على هراة وبلخ في حين اضمحل دور الغزنويين في المنطقة واندفع السلاجقة بين عامي 431-446 لبسط سيطرتهم على كامل الاراضي التي يسيطر عليها الغزنويين والسامنيين والبويهيين

المحاضرة العاشرة

عصر السلاطين الكبار السلطان طغرلبك ودخول بغداد

The era of the great sultans, Sultan Tugharbek, and the entry of Baghdad

السلطان طغرلبك السلجوقي:

حقق السلطان طغرلبك بعد عقد الصلح مع الغزنويين انتصارا ساحقا على امير خراسان (سوري بن المعتز)، الذي انهزم في ميدان المعركة، ودخل بعد ذلك طغرلبك الى نيسابور، فجلس على عرش مسعود الغزنوي، ولقب بلقب: (السلطان المعظم ركن الدنيا والذين أبو طالب).

كان دخول طغرلبك مدينة نيسابور واعتلائه العرش محاول كأول سلطان للسلاجقة سنة 429هـ، ويعد هذا التاريخ بداية عهد السلاجقة كدولة تحمل الصفات العامة، اذ اصبح للسلاجقة كيان سياسي ورقعة كبيرة من الارض وحاكم له الزعامة التي منحها إياه رعاياه، منذ هذا التاريخ بدأت صفحة جديدة من صفحات النشاط السياسي والعسكري في هذا المنطقة.

ان وجود السلاجقة كقوة كبيرة متمركزة في اقليم خراسان، يمثل حالة خطرة بالنسبة للدولة الغزنوية، فقد أخذ الضعف يدب في جسمها وصار جيشها يصاب بالنكسات والهزائم المتتالية، لكن السلطان مسعود الغزنوي أراد خوض معركة انتحارية مع السلاجقة، فسار على رأس جيش كبير متجها نحو مدينة (مــرو)، لكن الجيش الغزنوي واجه أزمة شديدة في المؤَن ، وفي الوقت نفسه كانت قوى السلاجقة مستعدة كل الاستعداد، ووقف السلاجقة في الصحراء الوقعة بين سرخس ومرو، في مكان يعرف باسم: دندانقان، كانت في هذه الصحراء جملة من الابار استنزف السلاجقة ماءها ثم طمروها.

وقعت معركة دندانقان في الثاني من شهر رمضان سنة 431هـ ، وتعد من المعارك

الفاصلة في تاريخ الصراع بين الغزنويين والسلاجقة، وانها أنهت الصراع بين هاتين القوتين، وفي هذه المعركة حمل السلاجقة حملة شعواء على جيش السلطان مسعود الغزنوي، وثبت ان معركة دندانقان انتهت بهزيمة ساحقة للغزنويين، وان السلاجقة غنموا مالا حصر له من الذهب والفضة والملابس والدواب.

ضم طغرلبك الى اقاليمه مدينة جرجان وطبرستان، وتقدم نحو خوارزم وامتلكها، كما امتلك مدن اخرى بعد معارك ضارية في بلاد ايران، وفي سنة 436هـ استوزر السلطان طغرلبك وزيره أبا القاسم علي عبدالله الجويني، وهو اول وزير في الدولة السلجوقية، وبذلك بدأ دور تنظيم الدولة السلجوقية واستقرارها الاداري على ايدي أعوان من الفرس ذوي خبرة بالتقاليد الاسلامية.

وفي هذه المرحلة نلاحظ ان السلاجقة من بدأ تكوينهم السياسي، كانوا يتكتلون ويتحدون من اجل توحيد الصف السلجوقي، في هذه الظرف الدقيق من حياتهم، فقد اجتمع طغرلبك وأخوه جغري بك مع عمهما موسى بيغو بن سلجوق، ومع ابناء أعمامهم وقادة جنودهم وتعاهدوا على الاتحاد والتعاون فيما بينهم واقتسموا المملكة، ولم يبق حتى هذا الوقت للدولة التي انشأها السلاجقة الاّ ان تستكمل أخر عنصر من مقوماتها، وهو الحصول على اعتراف الخليفة العباسي بقيام دولتهم، فهذا الاعتراف وحده بحكم نظم هذا العصر، هو الذي يكسب الدولة شرعيتها في حكم المناطق التي سيطر عليها السلاجقة، فقد اتخذ طغرلبك مدينة (الري) دار ألمملكة، ويبدو ان السلاجقة كانوا يحترمون طغرلبك ويرون فيه المقدرة والكفاءة وحسن التدبير، كانوا يخضعون لرئاسته، وقد نجح طغرلبك في بناء كيان قوي للغُز السلاجقة، الذين سيصبح لهم تاثير عظيم في سياسية المشرق والعالم الاسلامي، وامتداده الى البحر المتوسط في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وهكذا لم يبق امام السلاجقة الاّ اكمال الحلقة الاخيرة من خطواتهم بتأسيس دولتهم المنتظرة، بعد كسب ود الخليفة العباسي والتقرب اليه؛ ليحصلوا على اعترافه وموافقته لتكتسب دولة السلاجقة شرعيتها بعد رضا الخليفة العباسي عنها ومباركة قيامها، لأداء دورها في السياسي التوسعي ضمن المناطق الخاضعة لسيطرتها، ولمواصلة التوسع على حساب اعدائهم وكل القوى التي تقف في طريق امتداد نفوذهم وتوسعهم.

دخول طغرلبك بغداد وإنهاء النفوذ البويهي:

بدأ السلاجقة الاتصال بالخليفة العباسي القائم بأمر الله، والمرجح ان قصدهم تعريف الخليفة بحالهم وكسب عطفه؛ ليحصلوا على اعتراف بشرعية حكمهم؛ لذا كتبوا الى الخليفة رسالة، حاء فيها: "اننا معشر آل سلجوق قوم أطعنا دائما الحضرة النبوية المقدسة وأحببناهم من صميم قلوبنا ولقد اجتهدنا دائما في غزو الكفار واعلان الجهاد وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة وكان لنا عم مقدم محترم بيننا اسمه اسرائيل بن

سلجوق، قبض علية يمين الدولة محمود بن سبكتكين بغير جرم وجناية، وارسله الى قلعة (كالنجر) ببلاد الهند، فبقي أسره سبع سنوات حتى مات، وأحتجز كذلك في القلاع الأخرى كثير من اهلنا وأقاربنا، فلما مات محمود وجلس في مكانه ابنه مسعود لم يقم على مصالح الرعية واشتغل باللهو والطرب، فلا جرم اذا طلب منا اعيان خراسان ومشاهيرها أن نقوم على حماتهم ولكن مسعودا وجه الينا جيشه فوقعت بيننا وبينه معارك تناوبناها بين كر وفر وهزيمة ونصر، حتى ابتسم لنا الحظ الحسن فاغار علينا أخر عون لمسعود ومعه جيش جرار وظفرنا بالغلبة بمعونة الله عزّ وجل بفضل إقبالنا على الحضرة النبوية المقدسة المطهرة وانكسر مسعود وأصبح ذليلا وانكفأ عَلَمَه وولى الادبار تاركا لنا الدولة والاقبال، وشكرا لله على ما أفاء علينا فتح ونصر، فنشرنا عدلنا وانصافنا على العباد وابتعدنا عن طريق الظلم والجوروالفساد، ونحن نرجو ان نكون في هذا الأمر قد نهجنا وفقا لتعاليم الدين ولأمر أمير المؤمنين".

ارسلت هذا الرسالة الى الخليفة العباسي القائم بأمر الله، على يد المعتمد ابي اسحاق الفقاعي، وكان وزير السلاجقة ومدبر أمورهم في ذلك الوقت، هو الوزير أبو القاسم الكوباني.

وفي الوقت الذي اتصف فيه السلاجقة بالتقدم والتوسع الكبير والنشاط والحيوية، كانت الاضطربات تعم بغداد ولم يكن للخليفة القائم أمر الله ولا للملك البويهي جلال الدولة اي سلطان، فقد كان الجنود الأتراك في ثورات متصلة، والبدو والعيارون يهاجمون المدن والاسواق، والفرق المذهبية تضرب بعضها بعضا، وهذه ابرز مظاهر الفوضى والاضطربات التي عمت بغداد عاصمة الخلافة العباسية.

كان الخليفة العباسي يشعر بهذا التفكك والانحلال، ويدرك ما للقوة الجديدة المنطلقة في الشرق من اثر وخطر على مستقبل الخلافة، فلما وصلت رسالة السلاجقة الى دار الخلافة، بادر الخليفة الى ارسال (ايفاد) رسول الى طغرلبك الذي كان في مقره مدينة الري، وكان مع الرسول هبة الله بن محمد المامون وزوده بالرسائل الطيبة؛ لانه يرتبط مع الخليفة العباسي القائم بأمر الله بعلاقة ود واخلاص، فأمره ان يتقرب من طغرلبك حتى يحضر الى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره.

ويبدو أن رسول الخليفة عندما وصل الى الري، وجد طغرلبك مشغولا في الحروب المستمرة؛ لذا اضطر الى الاقامة ثلاث اعوام بسبب ذلك، وخلالها خاض طغرلبك حروباً كثيرة وسيطر على ايران كلها وعلى أذربيجان سنة 446هـ ، وامتد نفوذه الى بعض أجزاء بلاد الروم في اسيا الصغرى، ثم عاد بعد ذلك الى عاصمة الري

.

وفي سنة 447هـ ، وهي السنة الفاصلة في تاريخ الدولة البويهية، اعد طغرلبك العدة من اجل القضاء على تلك الدولة، فاخبر قادته باعداد الجنود والتهيؤ لدخول العراق، وأعلن انه يريد التوجه الى مكة بقصد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى بلاد الشام ومصر وازالة حاكمها المستنصر بالله الفاطمي عن الحكم، كما ذكرنا.

قام احد القادة الديالمة، في السنة نفسها 447هـ واسمه: فولاذ بحركة مثيرة، اذا استولى

على شيراز وقطع خطبة السلطان طغرلبك، وخطب فيها للملك الرحيم البويهي آخر ملوك البويهيين، ولعل هذه الحادثة هي التي حفزت طغرلبك الى قطع دابر البويهيين من اقليم فارس وعاصمتهم شيراز من العراق، فهي حادثة تدل على تمرد من جانب البويهيين، وقد تشكل خطرا على وجود السلطنة السلجوقية في بلاد فارس؛ بذلك صمم طغرلبك على ازالة ذلك خطر، مغتنما سوء الاوضاع وتردي الاحوال التي سبق ذكرها خصوصآ في اواخر العصر البويهي في العراق؛ لذلك نرجح ان ان رسول الخليفة الذي أوفده الى طغرلبك كان يحمل معه من معاني الترحيب الكثيرة لو دخل طغرلبك بغداد، للتخلص من المشاكل والازمات العديدة التي كان أهل بغداد يعانون منها كثيرا، أو ان الرسول الموفد طلب رسميا من طغرلبك نيابة عن الخليفة العباسي القائم بأمر الله، التوجه نحو بغداد؛ لأنقاذ العراق من حالته البائسة تلك.

كانت جيوش السلاجقة في المحرم سنة 447هـ ، على اتم استعدادها لدخول العراق، وفعلا اتجهت تلك الجيوش بقيادة طغرلبك عن الطريق حلوان نحو العراق، وهو الطريق الذي يطرقة التجار من العراق الى بلاد فارس وبالعكس منذ أقدم العصور والى الان، ويبدو ان هو الطريق السهل الذي يوصل بشكل سريع الى قلب ايران وقلب العراق.

انتشر خبر دخول السلاجقة الى العراق بين الناس فوقع ذلك وقع الصاعقة على البويهيين، وقد حاول الملك الرحيم ابو نصر بن ابي كاليجار آخر حكام بين بويه الهروب مع البساسيري القائد التركي البويهي، الذي سيسبب بعض المتاعب للخلافة والسلاجقة في بغداد خاصة وفي العراق عامة، لكن الخليفة القائم بأمرالله كتب الى الملك الرحيم، الذي كان في واسط يعلمه ان البساسيري خلع الطاعة وكاتب الاعداء (يعني الفاطمية من مصر)، وان الخليفة له على الملك الرحيم عهود وله على الخليفة عهود مثلها، فان آثره (فضّله)، فقد قطع ما بينهما وان أبعده (البساسيري) تولى الديوان تدبير أمره، فقال الملك الرحيم ومن معه: "نحن لأوامر الديوان متّبعون وعنه منفصلون"، اي ان الملك الرحيم اعلن الولاء للخلافة العباسية وانفصاله عن البساسيري.

ويبدو ان اتفاقا تم بين الخليفة القائم بأمر الله والملك الرحيم على وجوب التعاون مع طغرلبك، فاعلن الخليفة لن يذكر اسم طغرلبك في الخطبة وان يكون لقبة: (السلطان ركن الدولة ابو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل يمين امير المؤمنين)، على ان يذكر بعده اسم الملك الرحيم ابو نصر ابي كاليجار سلطان الدولة البويهي، ومعنى هذا ان الدولة البويهية رضيت ان تكون دولة تابعة للسلاجقة، املة ان يتاح لها نوع من البقاء.

وصل طغرلبك وجنوده الى النهروان على مقربة من بغداد، وارسل الى الخليفة يستأذنه في دخول بغداد، فأذن له، وخرج الوزير رئيس الرؤساء الى لقائه في موكب عظيم من القضاة والنقباء والأشراف والشهود والخدام وأعيان الدولة، وصحبه أعيان الأمراء من عسكر الملك الرحيم، فلما علم طغرلبك بهم أرسل الى طريقهم الأمراء ووزيره أبا نصر الكندري، فلما وصل رئيس الرؤساء ابو القاسم علي بن الحسن بن احمد بن المسلمه الى السلطان، أبلغه رسالة الخليفة واستحلفه للخليفة وللملك الرحيم وأمراء الاجناد.

سار طغرلبك ودخل بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من شهر رمضان سنة 447هـ، ونزل

في باب الشمّاسية (احد ابواب بغداد)، ووصل اليه قريش بن بدران صاحب الموصل وكان في طاعته، وهذه التفاصيل تدل على ان دخول السلاجقة الى العراق اتخذ شكل حملة حربية من ناحية الشكل، بينما كان في الحقيقة عبارة عن موكب مهيب حضره وجوه الناس من الطرفين.

أما مصير الملك الرحيم فانه على الرغم من العهود التي أعطاها طغرلبك بعدم التعرض له، ومساعدة الخليفة له، لكن على مابيدة ان طغرلبك أراد استئقبال رأس البويهيين، ولايدع منافسا أو قسيما له في الخطبة والالقاب، فالقى القبض على الملك الرحيم وأرسله مقيداً الى قلعة: (طبرك) في الري، وظل هناك حتى توفي سنة 450هـ

ويبدو ان بعض الحوادث وقعت في بغداد، إثر دخول الجيش السلجوقي اليها، حيث اصطدم العامة ببعض جيش طغرلبك، فوقع جراء ذلك قتلى وجرحى وقام بعض الجنود السلاجقة بنهب الاسواق والبيوت وأحدثوا جرائم كثيرة؛ الامر الذي جعل الخليفة العباسي القائم بأمر الله ان يرسل الى السلطان من يبلغه استياءه من هذه الاعمال، وصار الخليفة يهدد السلطان بان هذه الاعمال ان استمرت فانه سيغادر بغداد، قائلاً له: "انما اخترتك واستدعيتك اعتقادا من ان تعظّم الاوامر الشريفة تزداد وحرمة الحريم تعظم وارى الامر بالضد".

وقعت في بغداد حوادث واضطرابات، وهي نتيجة طبيعية لمثل تلك الحالة التي تدخل فيها جيوش أجنبية الى اي بلد كان، فحصل غلاء كبير، كما حدثت فتنة بين الفقهاء الشافعية والحنابلة، وعلى هذا النحو كان موقف العامة من السيادة السلجوقية يختلف عن موقف الخليفة ورجال الدولة الرسميين.

أراد السلاجقة توثق علاقتهم بالخليفة العباسي، وتحقق ذلك بزواج الخليفة القائم بأمر الله من أرسلان خاتون خديجة ابنة داود أخي السلطان طغرلبك في سنة 448هـ

.

وفي غمرة هذه الانتصارات الرائعة التي حققها طغرلبك ونجاحه في توطيد عرى المصاهرة مع البيت العباسي، أخذت الانباء ترد عن حركات حربية واسعة يقوم بها القائد التركي أبو الحارث البساسيري، وهو: أرسلان بن عبد الله، وابو الحارث البساسيري، قائد تركي الاصل، وكان من مماليك بني بويه، وخدم الخليفة القائم بامر الله العباسي، فقدمه الاخير على جميع الاتراك في بغداد وقلده الامور باسرها، فالبساسيري إذن هو مولى من موالى بني بويه تربي تربية لقي فيها أصول المذهب الشيعي، وهو لم يكن أصلا من الشيعة، وعلى الاغلب انه تشيّع بتاثير الوسط الذي عاش وتربى فيه، وبيدو انه كان على درجة كبيرة من قوة الشخصية والكفاية والمقدرة؛ مما جعله يتقدم في مناصب الدولة حتى اصبح قائدها الاول.

حصل نوع من المجافاة والقطيعة بين البساسيري والخليفة العباسي القائم قيل ان سببها الوزير ابن المسلمه رئيس الرؤساء، والمرجح ان الذي حصل بين الخليفة وقائده البساسيري، سببه الرئيس هي السياسة التي اتبعها الخليفة تجاه السلاجقة، ومن الجائز ان

يكون البساسيري لا يوافق على التوافق ومسايرة السلاجقة أو الاستسلام لهم، كما انه – وهو صاحب القوة العسكرية في البلاد– كان يعتقد فيما يرجح ان قدوم السلاجقة معناه زوال نفوذه وذهاب سيطرته.

ومن كل هذه الاسباب التي ذكرناها؛ وقف البساسيري موقفا مناوئا (معاديا) لكل اتصال مع السلاجقة، وقد ظهر ذلك بشكل واضح عندما قدم بغداد سرا صاحبا قريش بن بدران أمير موصل، الذي كان ممن دخلوا في طاعة طغرلبك، فغضب البساسيري ولم يدخل دار الخلافة كعادته، ومما قاله البساسيري في تلك اللحظات: "ما أشكو الا من رئيس الرؤساء الذي خرّب البلاد واطمع الغز وكاتبهم"، ويظهر من قول البساسيري هذا ان رئيس الرؤساء قد اتصل بالسلاجقة لحسابه الخاص ومن وراء الستار؛ لذلك كله استمرت العلاقات تسوء بين الوزير والقائد البساسيري، وصارت العامة تعتدي على دور البساسيري وانصاره، كما اتهم الوزير القائد البساسيري بانه يكاتب الخليفة المستنصر بالله الفاطمي صاحب مصر، وبذلك نجح الوزير ابن المسلمة في افساد العلاقة معلق اما بالسلاجقة واما بالفاطميين، فتشيّع كل واحد منهما لجهة من هاتين الجهتين، غير ان الوضع الاستراتيجي للعراق يجعله ودائما تحت رحمة من يملك الجبال الشمالية.

وعند دخول طغرلبك بغداد، كان البساسيري في واسط، ومنها سار الى الحلة حيث هناك نور الدولة دبيس بن مزيد الاسدي، وظهرت في هذا الدور شخصية شيعية كان لها الاثر البعيد من تنظيم وتدبير حركة البساسيري، تلك هي شخصية المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن عمران الشيرازي الذي ولد في شيراز حوالي سنة 390هـ، وتدرج في مراتب الدعوة حتى صار حجة في بلاد فارس، وعرف بنشاطه في الدعوة لمذهبه الى درجة ادت الى نفيه من شيراز سنة 429هـ ، وظل هكذا حتى هرب الى مصر سنة 438هـ ، وفي مصر تمكن من توحيد علاقته مع بعض الوزراء ورجال البلاط، كما تمكن من الاتصال بالخليفة الفاطمي المستنصر بالله الذي اعجب بأدبه وسعة علمه.

المحاضرة الحادية عشر

عصر السلاطين الكبار السلطان طغرلبك و السلطان الب ارسلان

The era of the great sultans, Sultan Tugrlibek and Sultan Alp Arslan

السيطرة على بغداد والقضاء على حركات التمرد

لم تكن سيطرة السلاجقة على بغداد بالامر الهين ، فقد كان ينتظر السلطان طغرلبك مشاكل عدة اهمها القضاء على تمرد اخيه ابراهيم ينال وتعاونه مع خصمة البساسيري

فقد كان ابراهيم ينال (اخو طغرلبك من امه) كان طموحا يرغب في السيطرة والاستقلال، وهذا ما ستثبته الوقائع التاريخية بعد محاولته الاستقلال في همذان اذ تمر هناك سابقا ، ثم عفى عنه طغرلبك.

اما بخصوص الاتفاق المسبق بين البساسردي وابراهيم ينال، عن قيام مراسلة بين ابراهيم ينال والقائد التركي البساسيري، وخلاصة تلك الاشارات ان البساسيري وصلة رسول من قبل ابراهيم ينال، يطلب منه المعونة وانه اي ابراهيم ينال سيملك البلاد باسم الفاطميين.

ولما خلت الموصل من العساكر السلجوقية ولم يبق فيها الا القليل، اغتنم البساسيري وقريش بن بدران هذه الفرصة واستوليا على الموصل، وبعد ما علم السلطان طغرلبك بذلك جهز جيشا كبيرا واصطحب معة ابراهيم ينال، ولما وصلا الى الموصل كان البساسيري وقريش بن بدران قد فارقاها الى نصيبين، فسار طغرلبك ليتبع أثارهما، وفي هذا الاثناء فارق أخوه ابراهيم ينال فسار نحو همذان، وروى ابن الاثير ان المصريين اي الفاطميين قد كاتبوه (راسلوه)، وان البساسيري قد استماله واطمعه في السلطنة والبلاد.

وبسبب تصرف ابراهيم ينال تغير مجرى الحوادث، ويبدو ان السلطان طغرلبك غضب على اخية ابراهيم ينال، وصمم ان ينزل به ضربة شديدة قبل ان يستقر في همذان ويزداد خطرة، فسار السلطان طغرلبك متجها نحو همذان تاركا الموصل والعراق بأجمعه، ولم يستقر للسلطان بال حتى بلغ ابراهيم ينال وقتله.

مما سبق يتضح لنا ان ابراهيم ينال كان –كما يبدو- شخصا طموحا، طامعا في الاستقلال والسلطنة، وتجدر الاشارة هنا أيضا الى ان ابراهيم ينال، فضلاً عن طموحه واطماعه، كان حاقدا على طغرلبك منذ مدة طويلة، فمنذ سنة 441هـ بدأت حالة جفوة ونفرة بينهما، وذلك بسبب ما وجدة السلطان من نشاط وتوسع ابراهيم في بلاد الروم، كما كان ابراهيم نفسه يمتلك همذان وبلاد الجبل، فسعى السلطان طغرلبك الى تقليص ملكه وطلب منه تسليم همذان والقلاع التي بيده في بلاد الجبل، فامتنع ابراهيم؛ لذلك قامت بينهما الحرب التي انتهت بانتصار طغرلبك.

ومن المرجح ان قيام حركة ابراهيم ينال ضد السلطان طغرلبك كانت نتيجة للحقد الكامن في نفس ابراهيم، أو أنه صورة للتشفي وأخذ الثار، وعلى الرغم من ان السلطان طغرلبك قد استاصل هذا الخطر الذي ظهر في سلطنته، الا انه لم ينظم الامور بشكل يوفر للعراق الامن والاستقرار، فالمعروف ان السلطان كان عليه قبل ان يفارق الموصل لمحاربة ابراهيم ينال، ان يفكر في خطر البساسيري وأطماعه، وكان من الواجب عليه ان يترك قوة عسكرية كافية في الموصل وبغداد لصد اي اعتداء أو غزو؛ لان البساسيري انتهز فرصة مسير السلطان الى همذان، فهاجم بغداد ومعه دبيس بن علي بن مزيد الاسدي وقريش بن بدران، وحاصروا الخليفة في قصره واسروه، وقتلوا الوزير رئيس الرؤساء ابن المسلمة ثم أرسلوا الخليفة الى مدينة (عـــــــــانة)، وأودعوه لدى شخص عربي اسمه:)مهارش بن المجلي)، وهو ابن عم قريش بن بدران، واصبحت بغداد من جديد تحت قبضة وسيطرة البساسيري، فخطب فيها للخليفة المستنصر الفاطمي، وضرب الدنانير وسماها: المستنصرية، وكتب عليها من كل جانب ما نصه: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله علي ولي الله"، ومن الجانب الاخر: "عبد الله ووليه الامام ابو تميم معد المستنصر بالله أمير المؤمنين"، واستولى البساسيري في هذه الفترة أيضا على واسط والبصرة وحاول السيطرة على الاحواز، لكنه وجد ان طغرلبك يمدّ صاحب الاحواز بالعساكر فصالحه.

وصلت الى يد السلطان طغرلبك رسالة من الخليفة القائم بأمر الله الذي كان أسير في مدينة (عـــــــانة)، جاء فيها: "بحق الله أدرك الاسلام فقد ساد العدو اللعين وأخذ ينشر مذهب القرامطة"، ولما فرغ السلطان طغرلبك من قضاء على حركة ابراهيم ينال، استعد لمواجهة البساسيري، فسار بجيش كبير نحو العراق، ودخل الارضي العراقية عن طريق حلوان، فانتشر الجند في بغداد، وساد المدينة الاضطرار، وحاول البساسيري الهرب، لكنه اضطر الى مقابلة جيش السلاجقة في طريق الكوفة، وكانت نيته الهروب الى بلاد الشام، وكان يقود السلاجقة: (خمار تكّين الطغرائي)، فانتصر السلاجقة وقتل البساسيري وحمل راسه الى دار الخلافة، وجعل على قناة وطيف به وصلب مقابل باب

النوبي، واعيد الخليفة القائم بامر الله من بلدة (عانة) الى بغداد، وعظم نفوذ طغرلبك ولقبة الخليفة بلقب جديد هو: (ركن الدين)، وبذلك تخلصت الخلافة العباسية من عنصر وخطر كبير للفتنه، وعادت الخطبة خالصة للخليفة القائم بامر الله العباسي..

نهاية حكم السلطان طغرلبك:

بعد استتباب الامور في العراق، غادر السلطان طغرلبك متجها الى أذربيجان ونزل بمدينة تبريز، وترك في بغداد وزيره عميد الملك الكندري، وجعل لبغداد شحنة (الحاكم العسكري) هو الامير: (برسق)، وضمّنها ابو الفتح المظفر بن الحسن ثلاث سنوات بأربعمائة الف دينار.
كان السلطان طغرلبك قد رغب في الزواج من ابنه الخليفة العباسيي القائم بأمر الله، والمرجح ان السلطان كان يطمح ان يرزق بولد من سيدة عباسية، وان يربط الاسرة السلجوقية بالنسب العباسي، وكلف وزيره بمفاتحة الخليفة بهذا الامر، لكن الخليفة أبدى ممانعة في بداية ألامر، لكنه اضطر أخيرا الى الموافقة، وتم الاتفاق على ان يكون مهرها أربعمائة درهم من الفضة ودينارا واحدا من الذهب، وهو مهر السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأجريت مراسيم العقد في تبريز وعقد قاضي بغداد الخطبة استعدادا للزواج، وبعدها خرج السلطان قاصدا الري، ليتم الزفاف فيها باعتبارها دار ملكه، لكن السلطان وقع مريضا وزاد علية المرض فمات في شهر رمضان سنة 455هـ ، فعادت السيدة ومعها مهرها الى بغداد، وهنالك رواية أخرى اشارت الى ان السلطان طغرلبك عاش بعد زفافه سبعة اشهر، ثم مات في شهر رمضان سنة 455هـ نفسها .
وهكذا انتهت حياة السلطان طغرلبك الذي أسهم اسهاما فاعلاً في تقوية وترسيخ أسس دولة السلاجقة في العراق، ولم يترك وريثا له، وكان هذا الأمر من العوامل التي ادت الى وقوع بعض الحوادث للتشبث بالاستيلاء على عرش السلاجقة، وسنوضح طبيعة الصراع داخل البيت السلجوقي، للظفر بالسلطنة وما الت الية الامور بعد وفاة السلطان طغرلبك.

عهد السلطان ألب أرسلان: 455-465هـ

جرت العادة ان يوصي السلطان السلجوقي بمن يخلفه بعد موته، ولما لم يترك السلطان طغرلبك ولدا من بعده؛ لذلك عهد بالسلطنة من بعده الى ابن أخيه سيلمان بن دواود جغري بك، لذلك أجلس الوزير عميد الملك (أبو نصر محمد منصوري بن محمد الكندري) على عرش السلطنة سليمان بن دواد كما انه كان متزوجا من ارمله أخية ام

سليمان هذا، كان سليمان صبيا لكن تاثير امه كان كبيرا على طغرلبك، في حين كان اخاه ألب أرسلان هو الأكبر والأكفأ لشغل هذا المنصب.

وهكذا نشب الصراع في البيت السلجوقي بعد وفاة السلطان طغرلبك من جديد بين ابن اخيه سليمان، الذي خلفه في السلطنة وبين ألب أرسلان أخي سليمان نفسه، فضلا عن الصراع بين ألب أرسلان وبين عمه قُتَلمش، وانتهى الصراع بانتصار ألب أرسلان وتوليه سلطنة السلاجقة.

كان ألب أسلان محمد بن داود جغري بك حاكما على خراسان ومعه وزيره المشهور نظام الملك، ابو علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي، وكان ألب أسلان طامعا في العرش السلجوقي ويلقى تأييدا من أمراء كثيرين، في حين كان سليمان طفلا صغيرا، ولما ادرك الوزير الكندري خطورة الوضع امر بقراءة الخطبة في الري باسم ألب أرسلان وان يكون سليمان وليا لعهده.

كان أول عمل قام به ألب أسلان بعد توليه الحكم مباشرة، عزل الكندري من الوزارة وسجنه، وقد تمكن نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان بما أوتي من الحيلة والدهاء ان يوقع بالوزير الكندري ويقنع السلطان بسجنه، وذلك لتأييد الكندري مطلب سليمان لتولي السلطنة، فضلا عن المنافسة الشرسة بين عميد الملك الكندري وبين نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان، التي انتهت بانتصار الأخير الذي دبر مكيدة انتهت بموت الكندري وهو في السجن سنة 457هـ وذلك لكسب ود الخليفة لما جرى من سلوك الكندري تجاه الخليفة اثناء المفاوضات التي أدت الى زواج ابنة الخليفة القائم بامر الله من طغرلبك، وهكذا صفا الجوّ للوزير نظام الملك بالتخلص من منافسه الوزير عميد الملك الكندري.

ومن مظاهر الصراع داخل الاسرة السلجوقية، قيام حركة جديدة قام بها شهاب الدولة قُتَلمش بن اسرائيل، واعلن في حركة انه احق من ألب أرسلان في سلطنة السلاجقة، لكن ألب أرسلان جهز له جيشا كبيرا توجه به نحو الري، وصبحه في حملته هذه وزيره نظام الملك، وخرج اليه قتلمش بجيش كبير أيضا، وقد لعب الوزير نظام الملك في تلك المعركة دورا كبيرا وظهرت فيها حنكته العسكرية، فانتصر السلطان ألب أرسلان على قتلمش وانكسر جيشه، ووجد قتلمش ميتا في ميدان المعركة، وأصبح ألب أرسلان بعد هذه المعركة، سيد الموقف لا ينازعه احد على السلطنة.

والظاهر من تاريخ حكم السلطان ألب أرسلان، انه انشغل في مشاكل واحوال الدولة كثيرا ولم تتح له الفرصة لزيارة العراق ولم يدخل بغداد طوال مدة حكمة التي دامت تسع سنوات وبضعة أشهر، والخليفة العباسي مازال هو القائم بأمر الله، ويلاحظ خلال تلك المدة ان السلطان ألب أرسلان كان حكيما في سياسية، اذ اقام علاقات ودية مع الخلافة العباسية؛ ليتمكن من مجابهة أعدائه، وكان السلاجقة بشكل عام يكنّون التبجيل والتقدير المقام الخليفة، كما كانت مقترحات وأوامر الخليفة لها موضع العناية والتنفيذ.

وفي هذا العهد تبودلت الهدايا بين الخلافة والسلطنة، ففي سنة 464هـ ، راسل الخليفة العباسي القائم بأمر الله، عميد الدولة ابو نصر محمد بن جهير ومعه الخلع للسلطان ألب

أرسلان وولدة ملكشاه، كان السلطان قد أرسل بطلب الى الخليفة ان يأذن في جعل ولده ملكشاه وليا للعهد، فأذن الخليفة بذلك، وارسلت اليه الخلع مع عميد الدولة.

وفي سنة 464هـ نفسها طلب الخليفة العباسي من وزير عميد الدولة ابن جهير، ان يخطب ابنه السلطان ألب أرسلان من زوجته سفري خاتون لولي العهد ولده (المقتدي بأمر الله)، فلما حضر عند السلطان خطب ابنته فأجيب الى ذلك وعقد النكاح بظاهر نيسابور، كان عميد الدولة الوكيل في قبول النكاح عن الخليفة، ونظام الملك الوكيل من جهة السلطان في العقد.

وفي عهد السلطان ألب أرسلان شيدت المدارس النظامية، نسبة الى الوزير نظام الملك الحسن بن علي الطوسي، وهي المدارس خاصة بتدرس المذهب الشافعي، ومن أهمها المدرسة النظامية في بغداد التي بدأ ببنائها سنة 457هـ، كما أنشأ شرف الملك ابو سعيد المستوفي مدرسة للخليفة في بغداد، في مشهد الامام ابي حنيفة النعمان في السنة نفسها، مخصصة لتدريس المذهب الحنفي، ولعل هذه المنجزات أنجزت جميعها في العراق ولم يقم السلطان ألب أرسلان –كما ذكرنا- بزيارته ولم يدخل مدينة بغداد، ولا بد لنا من دراسة ابرز الانشطة العسكرية السياسية الخارجية خلال مدة حكمه اذ كان التوسع الخارجي للدولة السلجوقية في عهد ألب أرسلان توسعا كبيرا، وكانت له مع الروم وقائع وحروب، لعل أشهرها وأهمها: موقعة ملاذكرد سنة 463هـ ، ففي هذا السنة خرج امبراطور الروم رومانوس ديوجين في جيش عظيم بلغ تعداده زهاء 200 ألف مقاتل، وكان السلاجقة يعدّون بحدود: (15) خمسه عشر ألف مقاتل، وكان هدف الامبراطوار البيزنطي مهاجمة الدولة الاسلامية، فضلا عن الاحتفاظ بسيادته على أرمينية، بعد أن زعزع السلاجقة هذه السيادة وهددوها تهديدا خطيرا .

تعد ارمينية ذات أهمية خاصة في تاريخ الثغور، فان امتلاك الروم لها يكسبهم استراتيجية خاصة ضد الجبهة الاسلامية، وكان اسيتلاء السلاجقة على ارمينية من شأنه تحقيق الأمن في الحدود الاسلامية؛ لذلك كله اصطدمت الجيوش البيزنطية بجيش السلاجقة في (ملاذكرد) من أعمال (خلاط) في مدخل اسيا الصغرى، وانتصر السلطان ألب أرسلان في تلك الموقعة انتصارا ساحقا، وتم اسر أمبراطور الروم رومانوس ديوجين.

كان لانتصار السلاجقة على الروم البيزنطيين واسر امبراطورهم، صداه الكبير في العالم الاسلامي، وبعث الخليفة العباسي القائم بأمر الله كتاب تهنئة الى السلطان ألب أرسلان بمناسبة انتصاره وفوزه في تلك الموقعة، ومما جاء في كتاب التهنئة: "الولد السيد الاجل، الموید المنصور المظفر، السلطان الأعظم مالك العرب والعجم، سيد ملوك الأمم، ضياء الدين، غياث المسلمين، ظهر الأيمان، كهف الأنام، عصند الدولة القاهرة، تاج الملّة الباهرة، سلطان ديار المسلمين، برهان أمير الؤمنين، حرس الله تمهيده، وجعل من الخيرات مزيده".

مما لاشك فية أن انتصار السلاجقة في معركة ملاذكرد، يعد رمزا لعزم السلاجقة على الوقوف بوجه البيزنطيين، والمشاركة في حماية الحدود الاسلامية، مشاركة فعالة

مجيدة، ذات أثر عميق في التاريخ الحربي للثغور الاسلامية كما كان الانتصار احد اسباب قيام الحروب الصليبية نحو المشرق الاسلامي .
وفي سنة 465هـ ، توجه السلطان ألب أرسلان الى بلاد ما وراء النهر بجيش كبير يزيد على مائي ألف جندي؛ للقضاء على الفتن المستمرة هنالك، وقد جيء للسلطان بأحد الثوار، ويدعى يوسف الخوارزمي، كان رجلا عنيدا فرغب السلطان ان يقتله بنفسه، فرماه بسهم فأخطأ الاصابة، واغتنم يوسف الفرصة، فهجم على السلطان وطعنه بسكّين كان يخفها ومات على اثر تلك الطعنة، وكان سعد الدولة كوهرائين الذي أرسله السلطان شحنة الى بغداد سنة 464هـ ، وأقفا فأصيب هو الاخر بجرح لكنه لم يكن مميتا.
وهكذا انتهت حياة السلطان ألب أرسلان هذه النهاية الماساوية المفاجئة جدا، بعد ان خاض صراعات مريرة مع منافسيه داخل البيت السلجوقي لتوالى أمر السلطنة، اذ شهد عهده سلسلة متواصلة من المنجزات على الصعيدين الداخلي والخارجي، فضلا عن علاقات طيبة مع الخلافة العباسية في بغداد.

المحاضرة الثانية عشر

عهد السلاطين الاقوياء (عهد السلطان ملكشاه السلجوقي)

واجهات التسلط السلجوقي

Reign of the mighty sultans (reign of Sultan Malakshah the Seljuk)
Facades of Seljuk authoritarianism

السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان 465-485هـ:

تولى سلطنة السلاجقة ملكشاه بعد مقتل أبيه ألب أرسلان، وأرسل الى بغداد يطالب الخطبة فخطب له على منابرها، وقد واجهت ملكشاه في بداية حكمه سنة 465هـ مشكلة، لكنه تمكن من تذليلها بسرعة، اذ طمع عمه (قـــــاورد) في الملك، فتحرك ملكشاه بسرعة على رأس جيش جرار من خراسان، والتقى بجيش عمه عند باب الكرج ودامت المعركة بينهما ثلاثة أيامها بلياليها، وانتهت بهزيمة قاورد.

واستمرت علاقة السلاجقة مع الخلافة العباسية حسنة طيبة، وفي سنة 474هـ أرسل الخليفة وزيره فخر الدولة أبا نصر محمد بن جهير الى السلطان يطلب ابنته لنفسه، فسار فخر الدولة الى أصبهان لمواجهة السلطان يخطب ابنته، فأمر نظام الملك وزيره ان يمضي معه الى خاتون زوجة السلطان لهذا الغرض، فمضيا اليها فخاطباها، فقالت: "ان ملك غزنة وملوك الخانيّة بما وراء النهر طلبوها وخطبوها لاولادهم وبذلوا أربعمائة الف دينار، فان حمل الخليفة هذا المال فهو احق منهم..."، وانتهى الأمر بالموافقة وفق شروط محددة وعاد فخر الدوالة الى بغداد.

وفي سنة 479هـ دخل السلطان ملكشاه بغداد، بعد فتح حلب والجزائر الغربية، ونزل بدار المملكة وركب من الغدّ الى الحلبة ولعب بالجوكان والكرة، وأرسل الى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها، وزار السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك مشهد الامام موسى بن جعفر(عليه السلام) وقبر الشيخ معروف واحمد بن حنبل ومشهد ابي حنيفة.

وفي سنة 480هـ، اتجه سعد الدولة كوهرائين الى واسط؛ لمحاربة مهتدي الدولة ابن ابي الجبر صاحب البطائح، وما ان ابتعد عن بغداد الا وظهرت فيها الفتن ولاضطرابات، ووقعت فتنة فيها بين أهل الكرخ وباب البصرة لكن شحنة بغداد سعد الدولة تمكن من إخمادها.

استمرت الفتن في بغداد وتعددت، ويبدو ان السلاجقة كانوا يخمدونها بالقوة والبطش، أدت تلك الفتن بالطبع الى إقلاب الامن النظام وضعف مركز الدولة، كما تؤدي حتما الى احداث نفرة وجفوة وعدم الانسجام بين العامة السلطة.

وفي سنة 484هـ زار السلطان ملكشاه بغداد للمرة الثانية ومعه الوزير نظام الملك ونزل بدار المملكة وأمر ببناء جامع السلطان، وفي أواخر أيام الخليفة المقتدي بأمر الله ابن القائم بأمر الله، كانت العلاقة بين السلطان ملكشاه والخليفة على غير ما يرام، وسبب ذلك ان الخليفة المقتدي كان قد تزوج من ابنت ملكشاه –كما ذكرنا- ورزق منها ولدا اسماه :ابا جعفر الفضل، وكان ملكشاه يريد ان يكون جعفر هذا وليا للعهد، بينما كان للخليفة ولدا أكبر رمن جعفر، هو: المستنصر وكان يريد ولاية للعهد له، فساءت العلاقة بينهما.

وفي سنة 485هـ قصد السلطان ملكشاه بغداد فوصلها، وكان –على ما يبدو- يريد بالخليفة شرا، فارسل ملكشاه الى الخليفة يقول له: "تخرج من بغداد وتسكن اي بلد شئت"، فانزعج الخليفة من ذلك وطلب ان يمهله شهرا فقال ملكشاه: (ولاساعة واحدة)، وترددت الرسل بينهما، ثم استقر الحال بواسطة تاج الدين ابي الغنائم، وزير ملكشاه ان يؤخر عشرة ايام فوافق السلطان على ذلك.

أصيب السلطان ملكشاه بمرض مفاجئ، فتوفي في نصف شهر شوال سن 485هـ، وبذلك تخلص الخليفة المقتدي بأمر الله من تلك المحنة، وتجدر الاشارة الى ان السلطان ملكشاه اهتم بحفر القنوات وإقامة الاسوار والقلاع، وكان كثير التشجيع للعلماء والادباء.

وبوفاة السلطان ملكشاه فقد السلاجقة شخصية قوية مؤثرة؛ لذلك اتجه نجم السلاجقة بعد وفاته الى الافول، لعدم وجود شخصيات سلجوقية تسد هذا الفراغ، فقد انتهى عهد

السلاطين السلاجقة العظام، وبدأعهد التدهور والتفكك والضعف ثم الانهيار للدولة السلجوقية، كما سنوضح.

وما يحسب للسلطان السلجوقي ملكشاه انه صمم على توسيع دولة السلاجقة وبسط نفوذها حتى يشمل جميع العالم الاسلامي بما في ذلك الاقاليم الخاضعة لسيطرة الفاطميين (العبيديين) في مصر وبلاد الشام ، فارسل جيشا للسيطرة على بلاد الشام وسيطر على معظمها وتوغلت جيوش السلاجقة في مصر حتى حاصر القاهرة عاصمة العبيديين غير انه لم يستطيع فتحها لمقاومة اهلها فانسحب الى بلاد الشام واستمرت عمليات الكر والفر بين السلاجقة والعبيديين في بلاد الشام حتى تمت السيطرة فعليا للسلاجقة على اهم مدنها حلب ودمشق ، كما استطاع السلطان ملكشاه من ضم انطاكيا سنة 477هـ واخضع مدينة الرها لحكم السلاجقة وفي عهدة فتحت قونية (مدينة في تركيا) واسس هناك ما يعرف بسلاجقة الروم تلك الاسرة التي بقيت تحكم حتى سنة 700 هـ ولذلك يعد السلطان ملشكاه اخر السلاطين الاقوياء وبعد وفاته تقسمت مملكتهم الى اتابكيات تحت حكم كل امير سلجوقي .

واجهات التسلط الحكم السلجوقي :-

لم يختلف السلاجقة عمن سبقهم من البويهيين باعتبارهم غزاة اجانب لا تهمهم سوى مصالحهم الخاصة فقط وقد ادخل الحكام البويهيين العديد من العادات الفارسية منها عادة ((تقبيل الارض)) بين ايدي الخلفاء وهي عادة وثنية فارسية ، غير ان السلاطين السلاجقة استمروا عليها ولا سيما السلطان طغرلبك عند لقائه الخليفة العباسي 449هـ وكذلك عام 451هـ بعد عودة الخليفة الى بغداد بعد فشل تمرد البساسيري .

استمر السلاطين السلاجقة بأثارة النعرات الطائفية والتي انعكست سلبا على تماسك الشعب وخصوصا بين الحنفية والشافعية ففي سنة 475هـ ارسل الوزير نظام الملك احد الوعاظ ليحاضر في المدرسة النظامية فتعرض لمعتقدات الناس مما ادى الى نزاعات مذهبية بين العامة وتكررت المحاولات في سنوات مختلفة

استمر السلاجقة في اظهار الاحترام للخليفة العباسي لكن الامر لا يعدوا اكثر من مظهرا من مظاهر الخدع والكذب حتى يتمكنوا من رقاب الناس وفرض سيطرتهم ولكن عندما تتعارض مصالحهم مع الخليفة تظهر حقيقتهم فعندما رفض الخليفة طلب طغرلبك تزويج ابنته منه هدد الاخير الخليفة القائم مصادرة املاكة في بغداد والبصرة وواسط حتى ارغم الخليفة على الموافقة كما لا ننسى تهديد ملكشاه للخليفة عندما رفض تعين ابنه ابا جعفر الفضل ولي للعهد بدلا من ابنه المستنصر ، كون ابا جعفر امه سلجوقية ابنه ملكشاه .

فكانت محاولتهم السيطرة والهيمنة على الخلافة عن طريق الزواج وجمع السلطنة والخلافة في شخص واحد .

انتزع السلاطين التفويض بصلاحيات الخليفة ، فذكرت اسماء السلاطين على المنابر في الجمع والاعياد بكانهم والقابهم فتلقب السلطان طغرلبك بـ(السلطان ركن الدولة يمين امير المؤمنين) ، كما اجبر طغرلبك الخليفة العباسي بعد القضاء على البساسيري وابراهيم ينال من الحصول على تفويض يحكم به البلاد شرقها وغربها .

محاولات السلاجقة هدم الشخصية العربية :-

استمر السلاجقة بنفس نهج البويهيين في اذلال الشعب والتضيق عليهم اقتصاديا ففي عام 451هـ امر طغرلبك عماله بحمل الاموال الى خزينتة بدل خزينه الخلافة كما ضمن واسط بـ200 الف دينار وبغداد بـ 400الف دينار اي انه يضمن المدن مقابل المال وبذلك كيف سيعود المال الى الضامن الا عن طريق اخذ جبايات وضرائب اكثر من استحقاقها من الناس فضيق عليهم اكثر .

وضع السلطان السلجوقي في بغداد وباقي المدن شخصيتان تراقب العامة فكان العميد (ممثل اداري عن السلطان) والشحنة (الممثل العسكري عنه) فاحدهم يجبي الضرائب والاخر يقوم بحمايته من اي تمرد ، كما رعى السلاجقة بيوت الفسق وحوانيت الخمور من اجل جني الاموال

المحاضرة الثالثة عشر

موقف الخلافة العباسية من السيطرة السلجوقية

The position of the Abbasid caliphate on the Seljuk control

موقف الخليفة المسترشد بالله في مواجهة التسلط السلجوقي :-

اخذ الخليفة المسترشد عدة اجراءات للوقوف بوجه الطغمة العسكرية السلجوقية فقرب العلماء والفقهاء واهتم بالعلم واعلن الخليفة صراحة تحديه السلاجقة علناً من خلال قوله " فوضنا امرنا الى ال سلجوق فبغوا علينا فطال عليه الامد فقست قلوبهم " ولأول مرى يتحدى خليفة عباسي السلطان السلجوقي ، فجمع الخليفة الجند والاتباع في محاولة لتكوين نواة جيش مستقل يتبع اوامر الخليفة ، وباشر اعمال الخلافة بنفسة وقاد الجيوش

واغلق دور المنكرات والفسق وحوانيت الخمور واسقط بعض الضرائب عن الناس وعزل كل العناصر المشكوك في ولائها فعزل في سنة 512هـ صاحب المخزن يوسف بن احمد وصادر امواله ، كما قبض على علي بن كمونه وابن غيلان القاضي لفسادهما سنة 513هـ ، ورفض المسترشد تعيين شحنة بغداد الزكوي ، كما اعتنى المسترشد بتعمير الاسوار وعمارة بغداد ورعاية اهلها .

استغل المسترشد الصراع الاسري بعد موت السلطان محمود السلجوقي 525هـ محاولا زرع الفتنة بين الامراء محمود وسنجر ومسعود وسلجوق شاه ، فرفضهم جميعا واعلن الخطبة لسنجر ، استمر الخليفة المسترشد بتحدي السلاطين السلاجقة فدبروا له مؤامرة ونجحوا فيها اذ استشهد في خيمتة اثناء جهادة ضد مسعود السلجوقي سنة 529هـ وبذلك مهد الخليفة المسترشد الطريق امام باقي الخلفاء ليكملوا ما بدائه في سبيل انهاء الوجود السلجوقي.

موقف الخليفة الراشد في مواجهة التسلط السلجوقي :-

تولى الراشد بعد استشهاد والدة سنة529هـ واكمل الطريق الذي بدأه من خلال العديد من الاجراءات فحرص على اعادة الحقوق المغتصبة من قبل السلاجقة ، وامر بالمعروف ونهى عن المنكر وجلس للنظر في المظالم شخصياً كما حرص على تطهير الجهاز الاداري من العناصر الفاسدة فعزل سنة 530هـ استاذ الدار جهير والقى القبض على لعدم نزاهته .

اتخذ الخليفة اجراء شجاع فقطع ذكر اسماء السلاطين من على منابر الجوامع في خطب الجمعة ويعني بذلك انهاء الاحتلال اسميا ، ورفض ارسال الاموال التي طلبها السلطان مسعود وهدد السلطان بالمواجهة العسكرية ، مما دفع مسعود السلجوقي الى مهاجمة بغداد سنة 530هـ فخرج الخليفة الى الموصل ، فبايع السلاجقة المقتفي خليفة في بغداد ، فهاجم الراشد جموع السلاجقة سنة 532 هـ والحق بمسعود هزيمة نكراء اضطر مسعود على اثرها الانسحاب الى اذربيجان ، لم يسلم الخليفة من مؤامرات السلاجقة اذ دبرت له مؤامرة واستشهد سنة 532هـ .

موقف الخليفة المقتفي من مواجهة التسلط السلجوقي:-

تسلم السلطة بأمر من السلطان السلجوقي مسعود بعد غادر الخليفة الراشد بغداد سنة 530هـ فاصبح هناك خليفتان احدهم في بغداد والاخر في الموصل وانفرد المقتفي بالحكم بعد استشهاد الراشد ، وبعد ان اصبح الخليفة الرسمي مارس سلطاته دون العودة الى السلطان السلجوقي ، فعزل اعوانهم وابعد زعمائهم عن مناصب الدولة ، وبداء ببناء قوة جيش يستطيع من خلاله الدفاع عن الخلافة بعيده عن تاثير سلطة السلاجقة كما عبأ الشعب ووزع عليهم السلاح وهيأهم نفسيا للمواجهة مرتقبة مع السلاجقة ، تلك

الاجراءات افزعت السلاجقة فقرروا مهاجمة بغداد سنة 543 هـ الا ان جيش الخلافة بقيادة المقتفي الحق بهم هزيمة نكراء ، فاستغل الخليفة ذلك النصر فطهر الجهاز الاداري من العناصر السلجوقية وعين سنة 544هـ محي بن محمد بن هبيرة وزيراً له ، كما استغل موت السلطان مسعود 545هـ فامر بمصادرة اموال السلاجقة واعوانهم في بغداد ، كما بعث وزيرة سنة 547هـ ابن هبيرة لتحرير الحلة وواسط ، غير ان السلطان ملكشاه بن مسعود احتلها مرة اخرى فعادت قوات الخلافة لتحررها من جديد سنة 548هـ .

وعلى مر السنوات نجحت قوات الخلافة بدحر قوات السلاجقة التي حاولت مرار العودة الى بغداد وقاد الخليفة المقتفي بنفسة جيش الخلافة

المحاضرة الرابعة عشر

نـهايـة التسلط السلجوقي

The end of Seljuk authoritarianism

كفاح الخلفاء العباسيين لاسترداد هيبة الخلافة

(انتعاش الخلافة العباسية)

توفي الخليفة المستضيء بامر الله سنة 575هـ وتولى الخلافة من بعده ولده (الناصر الدين الله)، وفي عهده بلغت الخلافة العباسية في عصورها الاخيرة قمّة مجدها من النفوذ والقوة، وحكم هذا الخليفة ما يقارب من سبع وأربعين عاما 575-622هـ ، ويعدّ الناصر من دهاة الخلفاء العباسيين، وكانت له حيل لطيفة ومكائد غامضة وبدع لا يفطن اليها أحد، يوقع الصداقة بين ملوك متعادين وهم لا يشعرون، ويوقع العداوة بين ملوك متفقين

وهم لايفطنون، وسيكون لهذا الخليفة النصيب الاوفر من القضاء على النفوذ السجوقي، وتحرير العراق نهائيا من الاثار البغيضة ومن اي مظهر من مظاهر السيطرة والنفوذ الاجنبي.

صار الخليفة الناصر الدين الله يلاحق أيضا السلاجقة في بغداد ويقضي على اثارهم، وقد أمر سنة 583هـ بنقض (هدم) دار السلطنة الى الارض وعفى أثرها، وقد اتخذها السلاطين السلاجقة مقرا لهم، وقد هدمها الخليفة الناصر الدين الله أثر تحدي السلطان طغرل الثالث ومطالبته إياه بالخطبة للسلاجقة في بغداد، وكانت دار السلطنة تقوم في محلة المخرم (وهي محلة كانت ببغداد تقع بين الرصافة ونهر المعلّى، وفيها الدار التي كان يسكنها الامراء البويهيين والسلاطين السلاجقة، خلف الجامع المعروف ب: جامع السلطان)، ومحة المخرم من محلات بغداد القديمة في الجانب الشرقي، المعروف اليوم ب: جان الرصافة، بناها بهروز الخادم من انقاض دور الناس، واستعمل في عمارتها أهل بغداد حتى القضاة والأشراف والأعيان.

لقد ذكرنا ان الدولة السلجوقية انتهت بمقتل طغرل الثالث بعد معركة مع خوارزم شاه علاء الدين تُكُش (568-596هـ ملك الدولة الخوارزمية، وكان طغرل الثالث قد القى بنفسه في وسط المعركة، ويبدو انه كان مغرورا بقوته الجسمانية، وتراجع فجاءة فاصبح وحيدا في وسط أعدائه، فقتله الخوارزمية وأرسلوا راسة الى الخليفة العباسي الناصر لدين الله، ذلك سنة 590هـ وكان الخليفة الناصر قد أرسل مددا الى خوارزم شاه، فضلا عن الخُلَع السلطانية مع الوزير مؤيد الدين ابن القصاب.

بعد زوال نفوذ السلاجقة نهائيا من العراق، ادعى الخوارزميون أنهم ورثة السلاجقة، الا أنهم لم يبلغوا نفوذ سابقيهم، فاصبحوا أصحاب نفوذ في بلاد فارس بعد الاستيلاء على كثير من مدنها، وتركوا أثارا خالدة في المشرق، فاليهم يعود الفضل في القضاء على دولة (الخطا) الوثنية، كما استعادوا من (الخطا) ثغور، ما وراء النهر، وواجهوا الخطر المغولي الجارف، ولولا هذا الزحف الكبير للمغول لكان للخوارزميين شأن مع الدولة العباسية.

ومهما كانت الظروف فان الخلافة العباسية، بعد قتل طغرل الثالث أصبحت في حِلّ من اي ارتباط مع السلاجقة، وتمتعت باستقلال تام، وانصرف الخليفة الى الأعمال الحضارية لعمران البلد ثقافيا واقتصاديا وعسكريا وعمرانيا، وأصبح للخليفة الناصر الدين الله نفوذ كبير ، وخطب له في بلاد الاندلس وفي الصين.

اشتهر الخليفة الناصر الدين الله بأنه أحيا سنن (الفتوة) ومعالِمها، وجمع ما تشتت من نظامها، وشيد ما تعطل من احكامها، وقد اقتدى به في ذلك زعماء البلاد والخواص من العِباد، وفي سنة 607هـ، وردت رسل الخليفة الناصر الى ملوك الاطراف، أن يشربوا له كأس الفتوة، وليلبسوا سراويلها ، ويكون انتماؤهم اليه، ورعية كل ملك يشربون لذلك الملك، ويلبسون له.

والخليفة الناصر بتجديده لنُظم الفتوة ورعايته لها، اراد من ذلك نهضة الشباب الاسلامي، وتعويدهم على العادات الطيبة وغرس المُثُل السامية في نفوسهم، وتوحيد

صفوفهم، وقد نجح الناصر في ذلك نجاحا كبيرا، مما ساعده على تحقيق أغراضه واهدافه، لاسيما تلك التي كان يعمل من اجلها، وهي التخلص من الحكم السلجوقي واستعادة هيبة الخلافة واستقلالها .

لم تلبث العلاقة ان تدهورت بين الخوارزميين والخلافة العباسية، عندما كشف علاء الدين محمد عن عزمه على إقامة الخطبة له في بغداد، وهو الهدف الذي عجز والده (تكش)عن تحقيقه، وقد وجد علاء الدين ان الظروف مناسبة للضغط على الخلافة بعد نجاحة في تحقيق القضاء على دولة الخطا سنة 607هـ/1210م؛ لذلك بعث رسالة الى الخليفة الناصر لدين الله يطلب منه ان يكون معه كما كان الخلفاء قبله مع سلاطين السلاجقة، مثل: ألب أسلان وملكشاه، اي انه طالب بأن يكون أمر بغداد والعراق بيده، وتبقى للخليفة الخطبة فقط، وقابل الخليفة الناصر لدين الله هنا الطلب بالرفض والاستنكار؛ مما حمل علاء الدين الى تصعيد عدائه للخلافة ومجاهرتها بالعدوان، فعمل على تأييد حركات التمرد والعصيان ضدها، ووصل الامر الى الاعلان عن عزل الخليفة الناصر الدين الله واسقاط اسمه من السكة الخطبة في الاقاليم التابعة له، وذلك سنة 609هـ/1212م، لكن هذه الخطوة لم تلق استجابة من السكان الذين لم يظهروا تحمسا لتنصيب خليفة علوي، فلم يسقطوا الخطبة للخليفة العباسي في بلادهم.

قرر علاء الدين محمد الزحف نحو بغداد سنة 614هـ؛ لذلك استعد الخليفة الناصر الدين الله للتصدي له ووزّع الموال والسلاح على المقاتلين، غير ان علاء الدين لم يتمكن من تحقيق هدفه في مواصلة الزحف نحو دار الخلافة، بسبب تعرض جيشه الى عواصف ثلجية شديدة، بعد رحليه عن همذان بيومين أو ثلاثة عند عقبة استراباد، فهلك عدد كبير من رجاله ودوابه؛ لذلك اضطر للعودة الى نيسابور ومنها الى خراسان.

وقيل ان عودة خوارزم شاه السريعة هذه، كانت بسبب تعرض بلاده لغزو القبائل المجاورة لها، وان الخليفة الناصر كان على اتصال مع زعماء تلك القبائل وتحريضهم على مهاجمة بلاد خوارزم شاه، كما قيل أ يضا ان السبب عودته كان لتخوفه من التتار، في حين ان التتار لم يظهروا كقوة مهددة للخوارزميين حتى سنة 616هـ، حيث تمكنوا من دخول اقليم ما وراء النهر وتتبعوا جيش خوارزم شاه علاء الدين محمد وتمكنوا من قتله سنة 617هـ.

ومهما يكن من امر فان هنالك آراء ووجهات نظر متعددة ومختلفة بين المؤرخين حول الموضوع، منها اتهام الخليفة الناصر الدين الله باستدعاء المغول وتحريضهم على مهاجمة بلاد خوارزم شاه، حين عزم الاخير على قصد بغداد سنة 614هـ، كما ذكرنا، وهذه الرواية –ان صحّت– فانها تمثل محاولة سياسية لابعاد خطر الخوارزمين عن العراق، وذلك بأشغالهم، وافشال محاولتهم اختراق العراق وفرض سلطانهم على الخلافة، وقيل ان الخليفة الناصر الدين الله أرسل الرسائل والخُلع والاموال مع وزيره مؤيد الدين القمي الى أمراء دولة الخطا؛ لتحريضهم على مهاجمة خوارزم شاه ومنعه من التوجه الى بغداد وتهديد الخلافة العباسية.

والواقع ان كل ما ذكرناه من إجراءات احترازية قام بها الخليفة الناصر الدين الله، تعد

من الامور السياسية الشرعية، للدفاع عن هيبة الخلافة وإفشال مخططات أعدائها من مهاجمتها والتجاوز عليها، كما أنها تدلل على بعد نظر الخليفة الناصر، باتخاذه عدة وسائل وآليّات للحفاظ على الخلافة العباسية، والتصدي لمحاولات خوارزم شاه علاء الدين محمد في التوجه الى بغداد واسقاط الخلافة، وذلك من خلال الاستعانه بالقوى المحلية والاقليمية لوقوفها الى جانب أعداء الخلافة المتربصين بها.

وفاة الخليفة الناصر:

كانت وفاة الخليفة الناصر الدين الله في بغداد، آخر ليلة من شهر رمضان سنة 622هـ ، بعد حكم دام نحو سبع وأربعين عاما، نجح خلالها في تحقيق المنجزات الاتية:

1. انها التسلط السلجوقي في العراق.
2. عمل جاهدا على ابعاد خطر الخوارزميين عن العراق، ووقف بصلابة بوجه محاولاتهم المتكررة لاختراق حدوده.
3. ضرب بشدة كل من حاول التآمر على الدولة والتعاون مع أعدائها.
4. حرص الخليفة الناصر –طوال مدة عهده– على اضعاف المشاعر الطائفية، التي كان أعداء الدولة العباسية يوظفونها لتحقيق اهدافهم.
5. نجح في تحقيق الوحدة الوطنية وبناء قاعدة اقتصادية متينة في الداخل.
6. انفق الخليفة الناصر الدين الله الكثير من الاموال على دور العلم والعمران.
7. إحياء نظام الفتوة انطلاقا من اهتمامه بالشباب؛ لانهم الدعامة الأساسية للمجتمع والامة، فتولى الاشراف بنفسه عليه، واولاه عناية خاصة وعمل على تدعميه، ويقوم نظام الفتوة على مبادئ سامية، اساسها الايمان بالله تعالى وملائكتة ورسله، وقول الحق، واجتناب المحارم، والاخلاص والوفاء بالعهد، وغيرها من القيم والمبادئ والمفاهيم التي تضمنها ديننا الاسلامي الحنيف، واكدتها السنة النبوية الشريفة

نهاية الحكم السلجوقي

كانت نهاية حكم سلاجقة العراق، نهاية لابد منها لما حملت تلك الدولة في مسيرتها التاريخية من المشاكل والحوادث، ولعل الخصومات والمنازعات بين أفراد البيت السجوقي كانت العامل الاول والرئيس في تفتيت الوحدة السجوقية، وان البناء الشامخ الذي جاهد من اجل بنائه وتشييده السلاطين العظام: (طغرلبك وألب أرسلان وملكشاه)، أخذ يتهاوى من بعدهم، وكانت الدولة السجوقية قد بلغت حدا واسعا، وامتدت رقعتها من حدود الصين شرقا الى جورجيا والارضي المجاورة لمدينة القسسطنطينة غربا، كما شملت بيت المقدس وبلاد العرب، وكانت المنازعات التي نشبت بين أفراد البيت السجوقي عاملا رئيسا من عوامل تصدع صفوفه، اذ أفرز نتائج خطيرة ادت بمرور الزمن الى ضعف هذه الدولة، كما شجع الامراء الاخرين على خوض مثل تلك النزعات فيما بينهم.

وكانت الحاشية التي تحيط بأمراء البيت السجوقي كثيرا ما تشجع على المطالبة بالسلطنة؛ طمعا في الحصول على المناصب العليا والاقطاعات والواسعة، وتبيّن ذلك

واضحا فيما بذلته السيدة: (تركان خاتون) من الاموال للأمراء في سبيل تنصيب ولدها (محمود) سلطانا، وكان وزيرها (تاج الدين الشيرازي) من الذين يؤيدونها في ذلك وقدّم لها المساعدات، فأرسلت الى الخليفة المقتدي بالله تطلب السلطنة لإبنها واقامة الخطبة له على منبر بغداد، ولما اعتذر الخليفة بسبب صغر سن ولدها، أجبرته على الموافقة، كما نجح بركياروق في منطقة الري في الحصول على تأييد عدد كبير من رجالها فنادوا به سلطانا على البلاد.

أصبح في العالم الاسلامي سلطانان: بركياورق ومحمود، قامت الحرب بين الطرفين المتنافسين، وانتهت بانتصار بركياورق على أخيه محمود فاسر وزيره تاج الدين الشيرازي وقتله.

حاصر بركياورق السيدة تركان خاتون وجنودها في اصفهان، ولما أدركت السيدة شدّة الحصار، قدمت لبركياورق الاموال لكي يفك الحصار عنها، فوافق على ذلك واتجه نحو همذان، كما نجح بركياورق أيضا في استمالة بعض رجالات السيدة، وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها فان بركياورق أصاب نجاحا كبيرا في إحباط الحركة التي قام بها عمه (تُتُـــــش) الذي كان وليا على دمشق، كما هزم خاله اسماعيل بن ياقوت، الذي حرضته تركان خاتون ووعدته بالزواج منها لو تمكن من بركياورق وتخلص منه، وفي الرابع عشر من شهر محرم سنة 487هـ ، خُطب لبركياورق سلطانا في بغداد بأمر الخليفة المقتدي بالله ولقب بـ: (ركن الدين).

وهذه صورة واحدة من صور المنافسة والخصومة؛ من اجل الوصل الى السلطة، توضح لنا دور النساء من الامهات خاصة، فضلا عن دور الأمراء و الوزراء في تأجيج الخلافات على السلطنة، وكانت هذا الحالة الخطيرة تعانيها الدولة السجوقية بشكل واضح.

كانت الخلافة في بغداد ضعيفة، ولم يكن بمقدور الخلفية العباسي الهيمنة على الأمور، أو الحد من تصرفات الأمراء المتخاصمين، أو الوقوف –على الاقل– الى جانب الحق، وعلى العكس تماما وجدنا ان الخليفة العباسي كان يوافق على ان يخطب لكل غازي أو اجنبي يستهدف بغداد، أو الذي يعتقد فيه انه الأقوى، فكان هذا الأمر من العوامل المساعدة على اضعاف السلاجقة، ومن المرجح ان بعض الخلفاء رأى انه من الضروري إضعاف العنصر السلجوقي والتخلص منه ومن نفوذه، من خلال السعي الى أيقاد الفتنة بين السلاطين المتنازعين.

وخلاصة القول ان مملكة السلاجقة بعد وفاة ملكشاه بن ألب أسلان سنة 485هـ ، واجهت مشاكل خطيرة أدت الى انقسامات كبيرة، وانشغل السلاطين والأمراء في العصر التالي لعصر سلاجقة العراق العظام، عن مصالح الدولة الى تثبيت مراكزهم ومخاصمة الواحد منهم للآخر، وأصبحت الدولة نهبا مقسما بين الأمراء والاتابكة، كما كان الصليبيون قد سيطروا على ممتلكات السلاجقة في بلاد الشام وكونوا فيها الامارات الصليبية الاربع بيت المقدس وانطاكية وطرابلس والرُها، ولم يبق في ايدي المسلمين الاّ بعض المدن الداخلية مثل: دمشق وحلب، وظل للسلاجقة سلطان قوي في ايران هو: سنجر

السلجوقي، لكن نفوذه زال بوفاته سنة 552هـ، اما في العراق فان سوء الأوضاع وتعدد المشاكل امام السلاطين وانشغالهم في حروب ومنازعات حتى سنة 590هـ، وهي سنة التي قتل فيها طغرل أخر سلاطين السلاجقة في العراق، كانت هذا السنة نهاية العصر السلجوقي في العراق وبذلك انطوت اخر صفحة من صفحات تاريخ السيطرة الاجنبية على العراق

المحاضرة الخامسة عشر

الخطر المغولي على العالم الاسلامي وسقوط بغداد

Mongolian danger to the Islamic world and the fall of Baghdad

اصل المغول

المغول وسقوط الخلافة العباسية

لابد لنا ونحن ندرس العصر الاخير من تاريخ الدولة العباسية، ان نتعرف على شعب آسيوي، استقر في أواسط اسيا على حدود الصين، عرف ببداوته وقلّة حظّه من الحضارة، لكنه لعب دورا مهما في تكوين أحداث القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

ليس من السهل تحديد أصل المغول، فقد ذكرت المصادر العربية انهم من الترك، ويمكن القول ان المغول كانوا قبيلة في وسط مجموعة من القبائل المتعددة، اطلق على جميعها اسم: المغول، بعدما تمكن احد ابناء هذه القبيلة من فرض نفوذه على المجموعة بكاملها، ويتميز المغول (ويسمون: احيأنا: التتار او المَغَل) بصفات جسمية قوية جدا؛ تجمعهم مع بعضهم لغة مشتركة وتراث بدوي مشترك.

اما الموطن الاصلي للمغول فهو المنطقة الهضبية، التي تسمى: هضبة منغوليا، الممتدة في وسط اسيا الى الجنوب من سهول سيبريا والى الغرب من منشوريا، وشمال صحراء كوبي ومرتفعات التبت، والى الشرق من تركستان.

شن المغول حملات عسكرية على البلاد المختلفة المجاورة الى الشرق والشمال من العراق؛ لذا اصبحت الخلافة العباسية في مواجهة مباشرة مع الغزوات المغولية، ولم

تكن الخلافة في عصر الخليفة الناصر قد اتمت الاستعدادات الكافية لمواجهة مثل هذا الوضع، ومع ذلك كان باستطاعة الخليفة العمل على توحيد الجبهة العربية الاسلامية ولو نسبياً، بما يمتلكه من سلطة روحية وهمينة معنوية، تدين لها بعض اطراف الدولة بالولاء وتوليها اهتماما وتعطيها قيمة كبيرة.

كان المغول قد تعرضوا لحدود العراق سنة 618هـ، وبعدها قضوا على خوارزم شاه علاء الدين محمد، واصبحوا سنة 632هـ وما بعدها اكثر قربا لأرض العراق، ففي سنة 632ه الى 633ه هاجموا إربيل، وفي السنة التالية بلغوا مدينة سامراء ثم عادوا عنها

استعدادات المستنصر ضد المغول

كان رد فعل الخليفة المستنصر معقولا وايجابيا الى حدّ ما، لكنه كان متاخر غير كامل العفالية، فقد أعلن الجهاد إثر انعقاد مؤتمر العلماء المسلمين، الذين أفتوا بان الغزو في سبيل الله خير من الحج الى بيت الله، فتجمع للخلافة جيش كبير، تمكن من دحر قوة المغول التي قصدت سامراء سنة 634هـ بالقرب من تكريت وتم فك اسر عدد كبير من المسلمين الذين وقعوا في ايدي المغول، ولجأ الخليفة الى اقامة الاستحكامات حول بغداد خشية عودتهم، وفعلا عادوا في السنة التالية، وعند خانقين تصدّى لهم جيش الخلافة لكنه انهزم وقُتل عدد كبير من افراده وعاد الباقون الى بغداد كما رجع المغول أيضا.

بادر الخليفة المستنصر الى محاولة جمع شمل الامراء الايوبيين وسلاجقة الروم، واستنفر عرب البوادي ودعاهم الى الجهاد، اوقف الاموال لتجنيد الجيوش التي بدأت بالتجمع في بغداد، حتى قيل ان عددهم بلغ مائة الف مقاتل، لكن هذه المبادرات لم تحقق رسوخا في مقويات الدفاع ولاستعداد الكافي؛ بسبب عدم تكاملها ، فذهبت ادراج الرياح عند وفاة الخليفة المستنصر سنة 640هـ.

تولى الخلافة بعده ابنه الخليفة المستعصم بالله، الذي وصف بالضعف والانقياد عن ضعفة، فقبل مشورة أصحابه السيئين وقام بتسريح الجند، وايقاف صرف رواتبهم، واسقاط أسمائهم من دواويين العرض، فترك بعضهم العراق الى بلاد الشام، والتحق أخرون بمناطق أخرى، بينما لم يجد أخرون وسيلة للعيش رغم ضيق حالهم، وتم إقصاء بعض الشخصيات التي عرفت بقدراتها ورغبتها في تقوية الجيش وقتال المغول؛ بسبب تخوّف بعض رجال الخليفة، الذي كانوا ضمن مسؤولية الادارة وامور الجيش خلال خلافة المستعصم.

وهكذا ساءت احوال بغداد وكثرت مشاكلها وضعفت حمايتها، وأزداد عدد المهاجرين اليها امام غزوات المغول، التي توقفت بعض الوقت نتيجة التطورات الداخلية في الامبراطورية المغولية، لكن عادت وبدأت بالتغلغل داخل مدن بلاد فارس في ظل قيادة هولاكو، حيث تم نصب الجسور على الانهار العميقة، وتوفر التمويل الكافي لجيوش من البلاد التي سيطر عليها، كما بث الجواسيس في البلاد التي مرت عليها جيوشه لكي يتمكن بواسطتهم من تلافي المخاطر والكمائن التي تعرض طريقة، وهكذا هيأ هولاكو الحملة الكبيرة بقيادته على هذا النحو في التعبئة؛ بقصد التوجه نحو الخلافة العباسية في

بغداد سنة 650هـ/1252م.
سارت حملة هولاكو مسافات بعيدة واستغرقت بحدود خمس اعوام حتى وصلت الى مدينة همذان سنة 655هـ/1257م، وخلال مسيرتها في بلاد فارس قام هولاكو بالقضاء على قلاع الاسماعيلية نهائيا سنة 654هـ/1256م، وبذلك زالت تلك الدولة التي استمرت لمدّة (171 عاما)، أثارت خلالها الفزع في العام الاسلامي كافة، بعد وصول هولاكو وجيشه مدينة همذان، عسكر فيها قبل إقدامه على خطوته القادمة، وهي مهاجمة الخلافة العباسية في بغداد.
دخول المغول بغداد ونهاية الخلافة العباسية:
كانت بغداد في ذلك الوقت، في وضع صعب، فقد واجهت طوفانا كبيرا في سنة 655هـ، ادى الى غرق الكثير من الارضي الزراعية وتلف محاصيلها، فضلا عن غرق الكثير من بيوت المدينة، وعجز الخليفة المستعصم عن اتخاد سياسات ايجابية لحل مشاكل البلاد.
ونتيجة لضعف السلطة ومحاباة رجال الدولة المحيطين بالخليفة، لهذه او تلك من الفئات، تفاقمت المشاكل وازدادت الصرعات بين المحالّ والاحياء بعضها ضدّ البعض، كما ان الجند كثيرا ما مالوا الى فئة ضد أخرى مما زاد في الفرقة والانقسام داخل المجتمع، وذلك بسبب سوء قيادتهم وقلّة احساسهم بالمسؤولية، فانشطرت عناصر قيادة الدولة التي امتلكت مقادير الاموال أثر ضعف انعدام
الدور الفعلي للخليفة المستعصم:

في الوقت الذي وصلت الية الاحوال في بغداد بهذا الشكل، بدأ هولاكو بمراسلة الخليفة من همذان، مطالبا إياه بالاستسلام والحضور لمقابلته، وبالطبع رفض الخليفة ذلك، وتوعّد هولاكو بأثارة المسلمين ضده لإن هو تجرأ على إيذاء الخلافة وطالبه بالعودة من حيث اتى.
كان موقف الخليفة هذا في عدم الاستسلام موقف مشرفا، لكنه جاء متأخرا؛ لانه لم يرتكز على قوة فعلية رادعة وكافية، فاذا كان بالإمكان تأليب المسلمين على هولاكو فلماذا لم يفعل منذ سنوات، ونوايا المغول معروفة، فقد استمرت حملتهم ضمن سنوات في الطريق حتى وصلت الى همذان ؟!.
ان اهمال الناحية العسكرية وما ترتب عليها لا يتحمل مسؤوليتها الخليفة لوحده، بل تتحملها معه رجال دولته من وزراء واصحاب وأمراء جيش وحاشية، وعلى عاتقهم جميعا يقع عبئ ما حلّ بالبلاد، فقد أساءوا تقديم النصح له وهوّنوا من خطورة الواقع وثبّطوا همّته وحبذوا له الاستسلام وبالاخص وزيرة الفارسي ابن العلقمي الذي كان له دور خبيث في ذلك الامر.
لم تحقق الرسائل المتبادلة عدة مرات بين هولاكو والخليفة المستعصم، سوى نتيجة واحدة هي تحرك هولاكو تجاه بغداد ومحاصرتها، وقد استخدم قوات كثيرة جدا، كما استقدم بعض القوات المغولية التي كانت في آسيا الصغرى فبلغ عدد جنده حوالي مائتي

الف، ونزل هولاكو نفسه في الناحية الشرقية من بغداد.
حاول جيش الخليفة بقيادة مجاهد الدين آيبك الدويدار، التصدي لهولاكو وجيشه المجتمع، ورغم انه حقق بعض الانتصار في البداية على بعض قطعات العدو، غير ان قواته قد انهكها التعب وهم يطاردون فلول المغول ، فبعث ابن العلقمي من يفرق القوات العربية الاسلامية بين نهري الدجيل وبشير ، فلما غرقت القوات بعث الى هولاكو من يعلمه بغرق القوات فعاد مرة ثانية فلم يجد من يصده عنها فانسحب القوات العربية الى داخل المدينة، عندما احكم هولاكو حصار بغداد في 22 محرم سنة 656هـ/1258م، وحاول المغول تخريب الاسوار وايذاء السكان، باستخدام المنجنيق لرمي الحجارة التي جُلبت من منطقة جبال حمرين او جذوع النخل المقطع، اوخيراً في 4 صفر من سنة 656هـ، خرج الخليفة المستعصم من بغداد مستسلما بعد ان أعيته الحيلة، واحتل هولاكو بغداد وقتل الخليفة العباسي المستعصم مع ولده الاكبر(احـــــــمد) وبعض خاصته، وهنا بدت وحشيّة المغول في قتل الاهالي وتدمير جوانب مدينة بغداد الحضارية، وبذلك انتهت الخلافة العباسية بسقوط بغداد على المغول في تلك السنة